

من أمراض مثقفينا

م. فيصل العش

المصباح

إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت

العدد 109 - أوت 2016

السُّنن و العقل

عبد النبي العوني

حقيقة الدينار التونسي
وأفاق قيمته

نجم الدين غربال

الثورة والعمل

م. رفيق الشاهد

بين مثقف وآخر

لطفي الدهواثي



«مئذنة جامع القصبة - تونس»

هي أكثر العناصر أهمية وإثارة للانتباه في الجامع الذي أمر ببنائه السلطان الحفصي أبو زكرياء الأول بين عامي 629 هـ\1292 م و633 هـ\1296 م بمدينة تونس العتيقة، وكان يسمى في العهد الحفصي باسم جامع الموحدين. وتتخذ المئذنة من خلال مكوناتها الزخرفية شكل الصوامع الموحدية المغربية والأندلسية. لكن

هذا الزخرف مصنوع على الحجارة وليس فوق الأجر كما هو الحال في النماذج الأصلية المغربية. تتمدد الأقواس المتعددة الفصوص المنجزة بقاعدة الصومعة إلى الأعلى بواسطة تشبيكات ذات لون أفتح تغطي واجهات الصومعة بسلسلة من المعينات. أما الجزء العلوي فينفتح بأقواس ثلاثية متجاوزة ومحاطة بإطار من التلييس الخزفي. يتوج الصومعة منور ذو تصميم مربع تزينه كوة ذات قوس متجاوز بكل واجهة. وتشكل هذه الصومعة النموذج الأصلي الذي احتدي به في تونس انطلاقاً من تلك الفترة.

بني «علي ابن محمد بن القاسم» جامع القصبة بأمر من مؤسس الدولة الحفصية بعد إعلانه الاستقلال عن الدولة الموحدية بمراكش، وذلك بداخل القصبة التي كانت تضم أيضاً مقر الحكم والقصر. كانت البناية في الأصل عبارة عن مسجد صغير لحي، لتتحول إلى جامع تقام فيه صلاة الجمعة. وانطلاقاً من القرن 16م، إبان الفترة العثمانية، أصبحت الصلاة تقام فيه حسب المذهب الحنفي الذي هو مذهب الحكام الجدد لبلاد إفريقية.

تنقسم قاعة الصلاة العميقة إلى سبع بلاطات وتسع أساكيب، وهو شيء نادر في المساجد الإفريقية. يحتل رواقان يرتكزان على أعمدة ويطلان على صحنين، الجهات الشمالية والشرقية. ويغطي الجدران طلاء جيرى وألواح حجرية وأخرى رخامية. وتحمل أعمدة ذات تيجان حفصية بواسطة أكتاف عقود، أقواسا مكسورة متجاوزة تعلوها أقبية متقاطعة. هذا في حين تغطي البنايات الخارجية سطوح ذات دعائم خشبية وألواح وقبة. ينتظم المحراب الملبس بالواح رخامية على شكل كوة تعلوها قبة ذات مقرنصات من الجص وتحدها أعمدة صغيرة ذات تيجان حفصية.

شهد المسجد عدة أعمال للإصلاح والتجديد كما تشهد على ذلك التذهيبات التي تغطي تيجان المحراب. وخلال نفس الفترة (سنة 992م/1584م) وضع منبر من الطراز العثماني ملبس بالرخام، مكان المنبر الخشبي الحفصي.

مجلة إلكترونية
فكرية ثقافية جامعة

السنة الخامسة

تصدر عن منتدى الفارابي للدراسات والبدائل
ر.د.م.د : 2902 - 2382.

الإصلاح

إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت

العدد 109 - أوت 2016

تهدف مجلة الإصلاح بلورة فكريا وسطيًا يتفاعل مع محيطه ويقترح حلولاً لمختلف مشاكله الفكرية والسياسية والاجتماعية. وتسعى أن تكون حاضنة لأفكار ورؤى تناضل من أجل بناء دولة فلسفتها خدمة المواطن، ومجتمع مبني على التعاون والتآزر والعيش المشترك في كنف الحرية والمساواة. هي منبر للتحليل واقتراح البديل من دون تشنّج إيديولوجي ولا تعصّب لفئة دون أخرى. يحلم القائمون عليها مواصلة ما بدأه المصلحون، دون تقديس لهم أو اجترار لأفكارهم، منطلقون من الواقع الذي يعيشون فيه، متمسكون بهويتهم العربية الإسلامية ومنفتحون على العصر وعلى كل فكرة أو مشروع يؤدي إلى الإصلاح.

للمشاركة في تأثيث المجلة

* النشر بالمجلة تطوعي وبدون مقابل و يتحمّل الكاتب مسؤولية أفكاره وكتاباتاته
* للمجلة كامل الصلاحيّة في نشر أو رفض المشاركات.
* لا تقبل المشاركات التي تدعو إلى العنف أو التمييز على أساس الجنس أو العرق أو الدين أو تتضمّن شتماً أو معلومات من دون ذكر المصدر.

للاتصال بالمجلة

* توزع المجلة مجاناً عبر البريد الإلكتروني ومواقع التواصل الاجتماعي

* رئيس التحرير : فيصل العش، faycaelleuch@gmail.com

* ر.د.م.د : 2902 - 2382.

* البريد الإلكتروني للمجلة : alislah.mag@gmail.com

* موقع الواب : www.alislahmag.com

* صفحة الفيس بوك : alislah.mag



ذو القعدة 1437 - أوت 2016



12

من أمراض متقينا

● ● ● ● ● ● ● ● ● ● «م. فيصل العش»



السُّنَنُ وَالْعَقْلُ

«عبدالنبی العونی» ●●●●●●●●●●

22

حقيقة الدينار التونسي وآفاق قيمته

« نجم الدين غريال » ● ● ● ● ● ● ● ●



40

الثورة والعمل

« م. رفيق الشاهد » ● ● ● ● ● ● ● ●



68

بين مثقف وآخر

« لطفي الدهوائي » ● ● ● ● ● ● ● ●



30

العقيدة الإسلامية الحقيقية
التي أرادها الرسول في قلب كل مسلم
..... «محمد الصالح ضاوي»



32

مقاصد الشريعة
في المجتمع الإسلامي

..... «د.عمار الطالبي»



44

جيش في مواجهة مقاوم
ومقاومة تصارع دولة

..... «د. مصطفى يوسف اللداوي»



47

عولة

..... «سالم المساهلي»



● ● ● ● ● ● «أ.د. فوزي أحمد عبد السلام»

● ● ● ● ● ● ● ● ● ● «د.نبیل غریال»

الإنثروبولوجيا الثقافية بين فلسفة الفن وجدلوية الصورة البصرية

» محمد بدیر « ● ● ● ● ● ● ● ● ● ●



ماذا نريد لأنفسنا وما الذي يريده منا؟

● ● ● ● ● ● ● «شمس الدّين خذيري»

أحبك يا دوحة خضراء في أفريقيا

«بحري العرفاوي» ●●●●●●●●●●

10	رئيس التحرير	الافتتاحية
		الأولى
12	م. فيصل العش	من أمراض مثقفينا
		في الصميم
18	عبد النبي العوني	السُّنن والعقل
		لغتنا العربية
21	التحرير	تسمية المتضادين باسم واحد
		اقتصادنا
22	نجم الدين غربال	حقيقة الدينار التونسي وأفاق قيمته
		التدوين
30	محمد الصالح ضاوي	العقيدة الإسلامية الحقيقية
		التي أرادها الرسول في قلب كل مسلم
		مقالات مختارة
32	د. عمار الطالبي	مقاصد الشريعة في المجتمع الإسلامي
		كاريكاتير
39	موقع العربي	الانقلاب العسكري في تركيا
		تمتات
40	م. رفيق الشاهد	الثورة والعمل
		فلسطين بوصلتنا
44	د. مصطفى يوسف اللداوي	جيش في مواجهة مقاوم ومقاومة تصارع دولاً
		ترنيمات
47	سالم المساهلي	عولمة

في العمق

48 أ.د. فوزي أحمد عبد السلام الأيديولوجيا والسياسة انتحار أم ازدهار

حتى لا ننسى

53 التحرير 9 أوت 1945: الهجوم النووي على ناغاساكي

«وصمة عار في جبين الامريكان»

القرآن والسما

54 د. نبيل غربال السماوات والأرض (2)

الكلمة الحرة

58 بدير محمد الأنثروبولوجيا الثقافية بين فلسفة الفن

وجدلوية الصورة البصرية

حتى لا ننسى

61 التحرير 12 أوت 1972: «تل الزعتر» المذبحة

من القلب

62 شمس الدين خديري ماذا نريد لأنفسنا وما الذي يريده منا؟

حديث الشعراء

64 د. خالد بنات طيف المليحة

65 بحري العرفاوي أحبك يا دوحه خضراء في أفريقيا

شخصيات

66 التحرير الأمير عبد القادر الجزائري، العالم المجاهد

قبل الوداع

68 لطفي الدهواني بين مثقف وآخر

ألف تحية

71 التحرير للشعب التركي البطل الذي وقف ضد العسكر

أغاني الحياة

72 محمد هباش هواك فلسطيني

إلى اللقاء

73 عميرات لا عين رات ولا قلب يوجع

بقلم رئيس التحرير»

سألني بعض القراء عن المتابعة المحتشمة لمجلة الإصلاح للأحداث السياسية الكبرى التي وقعت في المدة الأخيرة على الساحة الوطنية والعالمية، هل هي نتيجة لنخبويتها أم لغياب المحللين السياسيين ضمن أسرة تحريرها؟ السؤال وجيه وله ما يبرره، فحدث مثل فشل الانقلاب العسكري التركي ليس حدثاً عابراً ومن شأنه أن يملأ صفحات المجلة من أولها إلى آخرها. وانتشار داء سرطان «داعش» في أوروبا حدث جلل له انعكاسات جد هامة على المسلمين عامة والمهاجرين خاصة. فلماذا لم يأخذ حظه من الكتابة والتحليل على أعمدة «الإصلاح»؟ وما يحدث في تونس من محاولة لإسقاط الحكومة ليس من طرف المعارضة وإنما من طرف الائتلاف الحاكم نفسه الذي اختارها وفرضها على الناس، هو حدث ما سمعنا عن مثله في عالم السياسة والحكم قط. ألا يستحق ذلك ملفاً خاصاً تسلط فيه «الإصلاح» الضوء على جوانبه لعل الناس يفقهون سره ويقتنعون بعبقريته من قام به؟

لا أحد يقلل من أهمية هذه الأحداث السياسية وتأثيرها المباشر وغير المباشر علينا وعلى الأمة الإسلامية جمعاء لكننا خيرنا في «الإصلاح» أن نهتم بما لا يهتم به الآخرون وأن لا نكون عنصراً في جوقه المحللين لمجرد التحليل والناقدين لمجرد النقد. إننا ننطلق من قناعة مفادها أن «السياسة» نتاج لـ «الثقافة» وإن كان الظاهر عكس ذلك. فالأحداث السياسية مهما كان زخمها إنما هي نتيجة لوعي ثقافي معين لدى صانعي الحدث. أليست «ثقافة» الشعب التركي هي الفاعل الرئيسي في فشل العسكر وانكسارهم؟ أليس «وعي وثقافة» الداعشي هي العوامل التي جردته من إنسانيته وحولته إلى عنصر تدمير؟ أليست ثقافة الانتهازية والمصالح الضيقة وغياب الروح الوطنية هي المهيمنة على محترفي السياسة في البلاد؟

إننا خيرنا أن نهتم بالمواضيع التي تؤدي إلى تحرير المثقف والمجتمع من هيمنة السلطات المستبدة سياسية كانت أم دينية أم أيديولوجية، ومن ثم تحرير الثقافة من هيمنة السياسة، أي تحقيق استقلال مجالات الحياة الاجتماعية وتكاملها. فمن دون استقلال ليس ثمة تكامل، الثقافة وحدها لها هذه القيمة التحريرية، حين نؤسس ثقافة ذات محتوى إنساني وعقلاني ونرسم الطريق للإصلاح الثقافي فإننا سنحقق نصف النجاح وعلى الناشطين في بقية المجالات تحقيق النصف الآخر.

سنكتب عن السياسة والسياسيين في المستقبل لكن ... بطريقتنا ..

« هجر المسلمون القرآن إلى الأحاديث ..
ثم هجروا الأحاديث إلى أقوال الأئمة ..
ثم هجروا أقوال الأئمة إلى أسلوب المقلدين
وكان تطور الفكر الإسلامي على هذا النحو
وبال على الإسلام وأهله.»

محمد الفزالي
فقه السيرة - ص 42





فيصل العشي
«رئيس التحرير»
faycalelleuch@gmail.com

من أمراض مثقفينا



مقدمة

ايديولوجيا يدافعون عنها ليلا نهارا أو زعيما يقضون الليالي في نسج القصص عن بطولاته وخصاله الحميدة أو الذين باعوا ذممهم للسلطان ومخابرات الدول الأجنبية من أجل حفنة من المال أو الذين جعلوا من الثقافة مجالا للسمسة والتجارة ربحه وفير ونتائجه مضمونة. فهل يعني هذا أن هذا المجتمع عاقر فلا أمل في أن يخرج من رحمه «مثقفون مصلحون»؟

الإجابة على هذا السؤال تتطلب بحثا في أسباب هذا العقم وتشخيص الظواهر المرضية المزمنة المستبدة بالحقل الثقافي العربي، وعلى رأسها تلك التحديات

تختلف أصناف المثقفين العرب وتتباين خصائصهم وأهدافهم لكنهم يشتركون جميعا في عدم انتمائهم إلى فصيلة «المثقف المصلح» الذي لا يكاد يوجد له أثر في مجتمعنا العربي. فنسبة الخيرين والمبدعين في المجال الثقافي الذين يحملون هم البحث عن مخرج للأزمة الثقافية الخائفة التي يعيشها المجتمع والذين يكابدون باستمرار في مقاومة الرداءة، لا تقارن بنسبة المثقفين الذين اختاروا الانغلاق على أنفسهم وعدم الاهتمام بالشأن العام أو الذين اختاروا الاصطفاف وراء

**ينتج المثقفون العرب
المفتربون أو يعيدون إنتاج
ثقافة تقليدية سلفية
نصيّة و يقينية لا صلة
لها بالواقع ولا تجيب عن
أسئلته الحارقة، لكنها تريح
ضمائرهم وتخدّر العقول
وتعفيها من متاعب البحث
والتفكير. إنّها ثقافة تقوم
بوظيفة الأفيون.**

التي تتبع من داخل المثقف وتشكّل عائقاً أمامه، وقيوداً تعيق عملية إنتاجه وتفاعله مع محيطه، لعلنا بمعرفة هذه الأسباب وبتشخيص الظواهر المرضية التي تلفّ بالمثقف العربي نحدّد الجواب ونعرف الدواء فنفتح بذلك باباً للعلاج.

لقد بات أغلب المثقفين يحملون أمراضاً وعقداً لا تعدّ ولا تحصى، ولا يمكن حصرها في مقال واحد، ولهذا سنكتفي بالتطرق إلى أهمّها وأخطرها. غير أننا نشير قبل الشروع في ذلك إلى إقرارنا بأنّ في التعميم وإطلاق الأحكام بشموليّة خطأ كبيراً لا يليق بباحث عن الإصلاح الوقوع فيه مخافة الزيغ والحيد عن الهدف المنشود، لهذا فإنّ مكان الاستثناء في ما سنذكره محفوظٌ وتنزيهه من يستحق التنزيه محمود.

الاغتراب والاعتراب

من بين الأمراض التي ربّما أصابت جُلّ المثقفين من مختلف المشارب الفكرية والإيديولوجية حالة الاغتراب والاعتراب كما سمّاها الدكتور عبد الله العروي⁽¹⁾. تتجسّد حالة «الإغتراب» لدى المثقف العربي في انغماسه في غربة المكان، فيكون خطابه وتحليله قائماً على مفاهيم وتصوّرات مستوحاة من الواقع الغربي المختلف كلياً عن واقعنا، فيذوب في الثقافة الأجنبية واللغة الأجنبية ولا يدرك مشكلات لغة مجتمعه وثقافته. وتتجسّد حالة «الإعتراب» في انغماس المثقف العربي في غربة الزّمان، فيكون تحليله ووصفه قائماً على مفاهيم مستقاة من واقع زمني مغاير لزماننا هو الواقع العربي أيام إشعاع الحضارة العربية الإسلامية انطلاقاً من عهد النبوة المحمدية. وفي هذه الحالة تنحصر مهمّة المثقف في إعادة إنتاج الأسس والمبادئ والمفاهيم التي قام عليها المجتمع في الماضي البعيد، ومن زاوية النّظر نفسها التي كان أسلافنا ينظرون منها إلى العالم وإلى المجتمع والإنسان.

إن اغتراب المثقفين العرب عن عالمهم وعن أنفسهم، هو صورة «مثقّفة» لا غتراب الإنسان العربي عن عالمه وعن ذاته، وهو إمّا أن يكون اغتراباً سلفياً أو اغتراباً حديثاً انتقائياً. يقول الدكتور عبدالله العروي: «إنّ الاغتراب بمعنى التّغريب أو التّفرنج «استلاب» لكنّ «الإعتراب» هو إستلاب أكبر (...). إنّهُ إستلاب حقيقي وضياح في: اللّغة، والتّراث، والتّاريخ القديم. يفنى فيها المثقف العربي بكل طواعية وإعتزاز، ويعتبر الدّوبان فيها منتهى حرّية الاختيار والتّعبير الصّادق عن هويته الدّائمة»⁽²⁾.

ونتيجة لهذا المرض، ينتج معظم المثقفين العرب أو يعيدون إنتاج ثقافة تقليدية سلفية نصيّة و يقينية لا صلة لها بالواقع ولا تجيب عن أسئلته الحارقة، لكنّها تريح ضمائرهم وتخدّر العقول وتعفيها من متاعب البحث والتّفكير. إنّها ثقافة تقوم بوظيفة الأفيون.

يجب على المجتمع بأكمله أن يتبنّاها، فإن لم يستجب هذا المجتمع لتلك المبادئ والقيم غداً في نظرهم مجتمعاً جاهلاً ومتخلفاً.

ثمّة أعراض عديدة لهذا الداء تتمظهر في سلوكيات المثقّف منها مدح الذات في كلّ محفل واجتماع ومنها إدمان الانتباه الزائد إلى ما يكتب عنه والرغبة في العناية به دون سواه ومنها التعاطي مع المثقّفين الآخرين بالتجاهل والإنكار واحتقار ما يصدر عنهم من آراء وأفكار لأنّه يرى في نفسه ما لا يراه في الآخرين.

إنّ نرجسيّة المثقّف العربي والأوهام التي تتأسس عليها وغروره النخبوي تعكس تأزم العلاقة التي تربطه بواقعه المجتمعي وأقول الفعل فيه حتّى صار في المؤخّرة في الوقت الذي يعتقد فيه أنّه يقود الأُمّة وتهمّش دوره بقدر ما توهم أنّه هو الذي بإمكانه تحرير المجتمع من الجهل ومن التخلف.

لهذا يقول علي حرب : «فليتواضع المثقّفون بعد أن وصلوا إلى هذه الحالة من الضعف والتضعع. إنهم لم يعودوا طليعة أو نخبة، ولم يعد بمستطاعهم أن يتصرّفوا بوصفهم متعهدي الحريّة أو وكلاء الثّورة أو أمناء الوحدة أو حراس الهويّة. وإنّما هم يشكّلون قطاعاً من قطاعات المجتمع وسلطة من سلطه. وبقدر ما يتخلّون عن نخبويّتهم، يصبحون أقدر على ممارسة فاعليّتهم، لأنّ وجهاً من وجوه أزمته يكمن في نخبويّتهم بالذات»⁽³⁾

الانعزاليّة

تشهد الساحة الثقافيّة انكفاء المثقّفين على أنفسهم وميلهم إلى العزلة والابتعاد بأفكارهم في أركان غرفهم ومكاتبهم الموصدة سابحين بين كتبهم دون الولوج في هموم النّاس وقضاياهم ومطبّات بيئتهم الاجتماعيّة التي نشؤوا وترعرعوا فيها.

إنّ نرجسية المثقّف العربي والأوهام التي تتأسس عليها وغروره النخبوي تعكس تأزم العلاقة التي تربطه بواقعه المجتمعي وأقول الفعل فيه حتّى صار في المؤخّرة في الوقت الذي يعتقد فيه أنّه يقود الأُمّة وتهمّش دوره بقدر ما توهم أنّه هو الذي بإمكانه تحرير المجتمع من الجهل ومن التخلف

النرجسيّة المتعصّبة والغرور النخبوي

إنّ أسوأ داء ابتلي به المثقّفون هو داء «النرجسيّة» أو الهيام المرضي بالذات وهو داء شائع في النّخب القديمة والجديدة. وتمثّل هذه النرجسيّة الطّاغية على السّاحة الثقافيّة العربيّة عائناً من عوائق النّجّد والإبداع. يعتقد المصابون بهذا الداء أنّ حصيلتهم العلميّة والمعرفيّة تجعلهم في ذروة الوعي بالواقع ومعرفة الحقيقة وبالتالي فهم يجسّدون عقل الأُمّة وصفوتها وهم المرجع الذي لا مرجع سواه وهم مخزن المعارف والحقائق الذي لا ينضب وهم أدري من الجّماهير بمصالحها وأولى منها بنفسها، ممّا يؤهلهم للتّفكير عوضاً عنها ويخطّطون لها حاضرها ومستقبلها ويقرّرون بذلك مصائرّها.

يمارس المثقّفون الوصاية على القيم العامّة المتعلّقة بالحريّة والعدالة والمساواة، ويدّعون امتلاك الرّؤية الثّاقبة الدّقيقة ومفاتيح الخلاص والسّعادة من خلال ما يقدّمونه من أفكار ومبادئ لتكون القيم البديلة التي

لا يدرك المثقف المنعزل أنه يمارس هروبا أكاديميا مفضوحا يفكر فيه من خارج سياق الواقع وبعيدا عن الأحداث الجارية فيه. وبالتالي فإنّ فإنه ينتج أفكارا وروى غارقة في النخبوية والنظرية فلا يكون لها تأثير واضح على مجريات الأمور.

تعود أسباب «الفردية» إلى سيادة روح السيطرة والديكتاتورية والنرجسية المفرطة وعدم تقبّل الآخر سواء على مستوى الرأى أو المشاركة أو حتى الوجود. وفي هذا يقول الدكتور عبد الإله بلقزيز «أظهر تلك الظواهر المَرَضِيَّة فظاظة اليوم ما اتَّصَل بعلاقات المثقفين بعضهم بعضاً ونوع الصِّلات التي ينسجونها بينهم في المجالات التي تفرض عليهم شكلاً ما من أشكال الصِّلة أو العلاقة كالبحت العلمي والمنابر الفكرية والثقافية والتّدوات والمؤتمرات والمؤسّسات الجامعية، أو القضايا والمسائل التي يشتركون في التفكير فيها أو في إثارتها والاشتباك عليها على صفحات الجرائد والمجلات أو في كتبهم» (4).

الانفصامية

أما خامس تلك الأمراض فهو مرض «الانفصامية» وهي ازدواجية في الخطاب والممارسة. وتقتضي ازدواجية الخطاب أن يقول المرء ما لا يفعل أو يقول

هناك عوامل عدّة أسهمت في إصابة المثقف العربي بداء الانعزالية منها نرجسيته المفرطة ونخبويته ومنها الشعور بالخيبة والاحباط من نجاح أي تغيير في المشهد الثقافي ومنها غياب التقدير الذي يليق به كمثقف أو نتيجة حسد وغيرة ممن حوله إضافة إلى ضعف الدّخل المادي.

يظلّ المصابون بهذا المرض، وهم كثر، معزولين عن الفئات الشعبية، لا يشاركون في أنشطة الحياة اليومية والثقافية إلّا عبر لقاءات مغلقة مع زملائهم وكثيرا ما تنقطع صلتهم بأهلهم وذويهم.

لا يدرك المثقف المنعزل أنّه يمارس هروبا أكاديميا مفضوحا يفكر فيه من خارج سياق الواقع وبعيدا عن الأحداث الجارية فيه. وبالتالي فإنّ ينتج أفكارا وروى غارقة في النخبوية والنظرية فلا يكون لها تأثير واضح على مجريات الأمور. وبذلك يكون المثقف أبعد عن هموم الناس ومشاكلهم فيبادلونه البعد ببعد أشدّ.

الفردية

من بين أمراض المثقفين العرب افتقارهم إلى العمل بروح الفريق وعدم إيمانهم بأهمية التكامل والتعاون، فلم نسمع من شغل منهم نسيجا واحدا متشاركا يسعى إلى صياغة مشروع ثقافي متكامل أو حتى متقارب. ويكفي أن نلقى نظرة على ما يحدث في المؤسّسات الرسمية أو في الجامعات أو حتى في مؤسّسات المجتمع المدني لنكتشف حالة التشرذم التي تعيشها النخبة سواء على مستوى أفرادها أو على مستوى مؤسّساتها أو على مستوى أعمالها. كل واحد يعمل بصفة فردية دون أن يلتقي مع الآخر أو ينسق معه أو يبيّن على ما قدّمه غيره في مجال تخصّصه. فقلّما نجد بحثاً علمياً أو مشروعاً ثقافياً ينجز بروح جماعية وب عقلية عمل الفريق.

من مثقّف أو مثقّفين تجاه أفكار وآراء آخرين على نحو لا يتوازن فيه المثقّف السّادي إلاّ متى إلْتدّ بالتّجريح الذي أصاب به ضحاياه من المثقّفين» (6)

وتزخر السّاحة الثقافية العربيّة بهذا النوع من المثقّفين الذين يخصّصون وقتاً طويلاً وجهداً كبيراً لإشباع ساديتهم وربّما يتنازلون عن مبادئهم وشعاراتهم من أجل رؤية خصومهم يتعدّون مادّياً ومعنوياً مستعملين في ذلك مختلف الوسائل من لسان وقلم وربّما قبضة اليد والسّلاح. وقد رأينا في ساحتنا الثقافيّة المثقّف «اليساري» وهو يغتبط باضطهاد المثقّف «الاسلامي» ويتشقّى منه، ورأينا المثقّف «القومي» يغتبط باضطهاد المثقّف الليبرالي أو الماركسي ويتشقّى منه (7)

الرّهاب الثقافي أو الفوبيا الثقافيّة

هي من أشدّ العلامات الدالّة على اهتزاز التّوازن لدى قسم كبير من المثقّفين العرب. ومن بين أهمّ مظاهرها وأعراضها انتشار فوبيا المؤامرة والنّزعة إلى رفض ثقافة «الآخر» في فكرهم وثقافتهم حتّى غدت من ثوابت وعي المثقّفين العرب بمختلف انتماءاتهم الإيديولوجيّة. يستحضر المثقّف ذو الميولات الاسلاميّة الغرب كمتآمر على الإسلام والحادثة المستوردة كمتآمرة على الهويّة والأصالة فيما يرى المثقّف الحداثي أنّ الأصوليّة والرجعيّة (الاسلاميّون) تتآمران على التّقدّم ويشترك الجميع في أنّ الامبرياليّة والصّهيوينية تتآمران على الأمّة والوطن والعروبة.

من نتائج استفحال هذا الدّاء عدم قراءة الأمور والمتغيّرات بشكل صحيح ممّا يؤدّي إلى فشل كلّ تخطيط للإصلاح أو التّغيير بالإضافة إلى بثّ الرّعب في النفوس ليس من الإصلاح وحسب وإنّما من محاولة التّفكير في الإصلاح.

إنّ «الازدواجيّة» هي تعبير عن حالة «الانفصام» الحادّ الذي يميّز شريحة لا بأس بها من المثقّفين العرب وهي دليل على نوع من الارتباك يطبع تفكيرهم وهو ناتج أساساً عن فقدان الثقة إمّا في أنفسهم أو في الجماهير التي يخاطبونها.

كلاماً أمام جمهور ما بغرض تضليله أو دغدغة مشاعره ثم يقول شيئاً مختلفاً تماماً أمام جمهور آخر أو في موقع آخر. فكثيراً ما يرفع مثقّفونا شعارات جذابة ولا معة، فيتحدثون مثلاً عن العدالة والحداثة والديمقراطية وحقوق الإنسان والحرية، ويكتبون فيها ماشاء الله أن يكتبوا، ولكنّ سلوكياتهم اليوميّة تنطق بنقيض نظريّاتهم.

إنّ الازدواجيّة هي تعبير عن حالة الانفصام الحادّ الذي يميّز شريحة لا بأس بها من المثقّفين العرب وهي دليل على نوع من الارتباك يطبع تفكيرهم وهو ناتج أساساً عن فقدان الثقة إمّا في أنفسهم أو في الجماهير التي يخاطبونها.

السّادية

تشكّل السّادية واحدة من الطّواهر المرضيّة المزمنة التي يعاني منها الوسط الثقافي العربي ونقصد بالسّادية «تحقيق اللّذة والمتعة بتعذيب الآخرين» (5)، أمّا ترجمتها في الميدان الثقافي «فتكون في صورة سلوك عدواني

الخروج من حالة التأزم التي يعيش فيها المثقف وإعادته إلى الصورة ليأخذ موقعه في عملية التغير المنشود، يحتاج إلى جهد كبير وعمل طويل وشاق يقوم به المثقف نفسه يكمن أولاً في معالجة الذات ضمن حالة نقدية ذاتية سليمة تتجاوز حالة جلد الذات.

الثقافي العربي - ط. 3 - 2004 - ص 54

(4) عبد الإله بلقزيز - في أمراض المثقفين - جريدة الخليج الاماراتية الصادرة بتاريخ 2009/1/7

(5) ينسب مصطلح السادية إلى ماركيز دي ساد (1740 - 1814) الأديب الفرنسي المشهور والذي تتميز شخصيات رواياته بالاندفاع القهري الي تحقيق اللذة عن طريق تعذيب الآخرين.

(6) عبد الإله بلقزيز - نهاية الدّاعية - الممكن والممتنع في أدوار المثقفين - الشبكة العربية للأبحاث والنشر - بيروت 2010 - صفحة 59.

(7) أنظر إلى موقف العديد من مثقفي مصر من زملائهم الذين ينتمون للإخوان المسلمين أو يتعاطفون معهم وأنظر إلى موقف العديد من المثقفين المناصرين للنظام السوري والإيراني وسعادتهم بقتل وتعذيب المثقفين والمفكرين المخالفين لهذه الأنظمة والتشفي منهم.

(8) عبد الإله بلقزيز - في أمراض المثقفين - جريدة الخليج الاماراتية الصادرة بتاريخ 2009/1/7

(9) أنظر كتاب عبد الله العروي «أزمة المثقفين العرب، تقليدية أم تاريخية»

الخاتمة

نتيجة حالة التأزم التي يعيشها من جرّاء أمراض الذات وأمراض الواقع، فقد المثقف العربي موقعه الريادي وعجز عن القيام بدوره المفترض بعد أن فقد ثقة الجماهير ومختلف قطاعات المجتمع.

ولأنّ زمن المعجزات قد ولّى، فإنّ محاولة الخروج من حالة التأزم هذه وإعادة المثقف إلى الصورة ليأخذ موقعه في عملية التّغيير المنشود، يحتاج إلى جهد كبير وعمل طويل وشاقّ يقوم به المثقف نفسه يكمن أولاً في معالجة الذات ضمن حالة نقدية ذاتية سليمة تتجاوز حالة جلد الذات. إذ أن تحصين الذات ضد تحدياتها يساهم في تقوية جبهة المثقف ضد التحديات الخارجية التي تواجهه. «فلا بدّ من وقفة مليّة يُطل بها المثقفون على عمرانهم الخرب، فيسعون سعي صدق في تنظيفه من أسلحتهم وآثار حروبهم، كي يعيدوا تأنيثه بالمعنى بعد أن انتحر المعنى»⁽⁸⁾

ولأننا لا نقاسم العروي يأسه «من أن يكون المثقفون وسيلة تحديث»⁽⁹⁾ فإننا لن ندعو كما دعا إلى التركيز على الدولة كجهاز للتّحديث، بل نؤمن بأنّ معالجة واقع المثقفين ليس بالأمر المستحيل وأنّ القضاء على عقم المجتمع ممكن ليخرج من رحمه «مثقفون مصلحون»؟ إنّه مطلب، بل تحدّي ينبغي العمل عليه، وإلاّ فالى مزيد من التّفقر والتّدور.

الهوامش

(1) تطرق المفكر عبد الله العروي إلى هذا المرض ضمن تطرقه إلى أزمة المثقفين العرب في عدّة مؤلفات أهمّها كتاب أزمة المثقفين العرب، تقليدية أم تاريخية وكتاب العرب والفكر التاريخي.

(2) عبد الله العروي، العرب والفكر التاريخي، المركز الثقافي العربي - ط. 5 - 2006 - ص 207-208

(3) علي حرب، أو هام النخبة أو نقد المثقف - المركز



عبد النبي العوني
«باحث وكاتب»
ouni_a@yahoo.fr

السَّنَن و العقل



المستجد وفق التغيرات الكونية وهذه الكائنات في هذا المحدث الكوني أو الحيّز الكوني تؤثر في بعضها تبادلياً...

خلق الله الإنسان ومنحه قدرة عقلية تمكنه من تعقل الأشياء والعلاقات والأمكنة والأزمنة... وأعطاه متسعاً وقدرة على التخزين والاسترجاع والتحليل والتأليف والتصور مع مساحة واسعة من الخيال والتجريد... جعل الله لهذا الإنسان العديد من الوسائط التي تمدّ عقله باحتياجاته الأساسية من المعرفة في

خلق الله الخلق وجعل فيهم السنن والآيات... وجعلهم كمسارات وسياقات ودروب يسير فيها الخلق بانتظام ونظام... تتجلى هذه السنن والآيات كقوانين تحكم الخلق كلّ إن كان على المستوى الكوني (بمنظار كسمولوجي) أو على المستوى الجزيئي (بمنظار تقنية الصغائر أو تقنية النانو)...

المستوى الكوني العام هو عالم يحتوي على كم هائل من المخلوقات من كائنات حيّة وكائنات لحيّة مترابطة فيما بينها بعدة علاقات فيها الدائم وفيها

وحركة العقل حركة لا محدودة في الزمان والمكان من مساراتها سبر أغوار ومجاهل الكون ومكوناته وتساعد الإنسان للتعرف على العلاقات الثابتة والمتجددة (بالنسبة للعقل الإنساني الذي يسير في عالم الشهادة) المستودعة فيه (السنن الكونية)

والمتجددة (بالنسبة للعقل الإنساني الذي يسير في عالم الشهادة) المستودعة فيه (السنن الكونية).... وفضاء الحركة والتفاعل لهذا العقل فضاء تفاعلي وتراكمي بمقياس الإنسان الفرد وبمقياس الإنسان- الإنسانية جمعاء (مع الأخذ في الاعتبار التواصل التاريخي والجغرافي واللغوي...)

هذه الطاقات الجبارة الكامنة والمخزنة لدى الإنسان الذي يكتسب مشروعية استغلالها وتوظيف تسخيرها من أجله على أساس الرقي والمكابدة والمجاهدة للوصول لأعلى المراتب التي يستكشف فيها ما خفي عنه من السنن والقوانين في ذاته وفي الكون الذي يحايثه بالتدريج والمراكمة.... وبالقدر الذي تتعلّق همّته وإرادته في سنّة من السنن فإنّه من سنّة التسخير ينالها... وبالقدر الذي ينجح ويوفق ويُرَاقم الاستكشافات ويسير في دروب سبر الأغوار « قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ

ظَلَّ حركته المتناسقة مع حركة الكون وفي فضاءها وتتمثّل هذه الوسائط في السمع والأبصار والأفئدة « قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ » (1)...

وقبل أن يمنح الله هذا الإنسان حرّية التفاعل مع الكون وما فيه ومع كلّ ما يحيط به وما سيحيط به بعد ذلك في ظلّ حركته الدائمة المتطورة (من أصغر جزيء فيه إلى أكبر جزء) داخل الكون الموسّع والمتحرّك زوّده وعلمه ما لم يعلم بل علمه الأسماء كلّها « اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ، خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ، اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ، الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ، عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ » (2). «وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ» (3). وهي تعتبر كقرص صلب يحتوي على برنامج معلوماتي أولي وأساسي دمج في بنية العقل البشري من دونه لا يستطيع الإنسان تحقيق تعقّله الإنساني وقبوله الفطري بتحمّل الأمانة التي أبت السماوات والأرض والجبال حملها « إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا » (4) ممّا يمكّنه مع الآليات والتقنيات العقلية والذهنية والشعورية (تدخل فيها الحواس والأحاسيس بما فيها ملكة الفؤاد) من التفاعل ومواكبة الكون وما فيه ومسايرة حركته بما فيها (حركة كلية وشاملة للكون وحركات متعدّدة ومتناسقة معه لمكونات الكون أجزاء وجزيئات)...

وحركة العقل حركة لا محدودة في الزمان والمكان من مساراتها سبر أغوار ومجاهل الكون ومكوناته وتساعدته للتعرف على العلاقات الثابتة

مقامات التَّيِّه والظُّلْمَا «وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ» وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ» (6).

إلى مقام التبصرة والإرتواء والخشية واليقين... «أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيَضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ* وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَأَلْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ» (7).

وكَلَّمَا زَادَ الْعَقْلُ الْإِنْسَانِي مِنْ تَعَقُّلِهِ لِلسَّنَنِ وَالْآيَاتِ زَادَتْ مَعْرِفَتُهُ لِمَقَامِ الرُّبُوبِيَّةِ... وَإِذَا مَا أُضَافَ إِلَيْهَا الْمَعْرِفَةُ بِالْآيَاتِ وَالْأَلَاءِ فِي كِتَابِ اللَّهِ الْخَاتَمِ، الْكِتَابِ الْمَقْرُوءِ وَالْمَحْفُوظِ زَادَتْ الْمَعْرِفَةُ لَدَيْهِ بِمَقَامِ الْأُلُوهِيَّةِ مَعَ تَهْذِيبِ تَقْنِي وَدَاخِلِي وَتَطْهِيرِ ذَاتِي (بِمَفْعُولِ الدِّينَامِيكِيَّةِ وَالْحَرَكَةِ الْفَعَّالَةِ لآيَاتِ الْكِتَابِ الْمَكْنُونِ فِي النَّقْلِ مِنَ الْحَالَةِ الْمَحَاطَةِ بِالْحَجَبِ إِلَى حَالَةِ الْحَرِيَّةِ الْوَاعِيَةِ فِي ظِلِّ التَّوْحِيدِ الْخَالِصِ مِنَ الشَّوَابِ وَالْانْحِرَافَاتِ وَالْإِنْزِيَاخَاتِ لِعَقْلِ يُمْكِنُ أَنْ يَسِيحَ فِي الْكُسْمُولُوجِيَا وَهُوَ غَارِقٌ فِي الْعِبَادَةِ وَالْخُضُوعِ لِنُزَوَاتِ ذَاتِهِ أَوْ لِنُزَوَاتِ ذَوَاتٍ أُخْرَى تَشْبِهُهُ...

الهوامش

- (1) سورة الملك الآية 23
- (2) سورة العلق الآية 1-5
- (3) سورة البقرة الآية 31
- (4) سورة الأحزاب الآية 72
- (5) سورة العنكبوت الآية 20
- (6) سورة النور الآية 39
- (7) سورة فاطر الآية 28

كلّما تقدّم العقل البشري أكثر بمنهجية تتبّع السنن في منهجه واستطاع تحقيق انجازات في الكشف عن هذه السنن كلّما كان أقرب إلى الفهم والوعي بالفضاء الكوني العام وبالتالي أقرب للخضوع والتسليم لتوحيد الربوبية ولوحدانية الخالق.

ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» (5)، ويكون انسجامه أكثر وتناسقه أعمق وأنجع في لحظته تلك مع ما استودعه الله في الكون من سنن وآيات (وهذا يكون بمعيّار فردي - يعود على الذات - وبمعيّار حضاري يعود على جماعة وبمعيّار عالمي - يعود على الإنسانية -) وكلّما تقدّم العقل البشري أكثر بمنهجية تتبّع السنن في منهجه واستطاع تحقيق انجازات في الكشف عن هذه السنن كلّما كان أقرب إلى الفهم والوعي بالفضاء الكوني العام وبالتالي أقرب للخضوع والتسليم لتوحيد الربوبية ولوحدانية الخالق التي تيسّر له متى ما أضاف لها الإيمان بالرسول، الخضوع والتسليم لتوحيد الألوهية.

ومن خلال فهم السنن والآيات يسهل على الإنسان العاقل أن يعقل ذاته (جسد وروح وعقل) في رحاب من التّوحيد الخالص التي هي أوسع وأشمل من الكون، توحيد فاعل وديناميكي يعرج بالعقل الإنساني من

تسمية المتضادين باسم واحد



ما دلت لغة شعب إلا ذل، ولا انحطت إلا كان أمره في ذهابٍ وادبارٍ، ومن هذا يفرض الأجنبي المستعمر لغته فرضاً على الأمة المستعمرة، ويركبهم بها، ويشعرهم عظمتها فيها، ويستلحقهم من ناحيتها.

- | | |
|--|---|
| (1) وراء: تكون قدماً تكون خلفاً. | (11) «الظنُّ»: اليقين، والشك. |
| (2) عسعس: أقبل وأدبر. | (12) «الجلُّ»: الشيء الكبير، والشيء الصغير. |
| (3) «الهاجد»: القائم المصلّي بالليل والنائم أيضاً. | (13) «الصَّارخ»: المستغيث، والمغيث. |
| (4) «الغابر»: الماضي من الأيام وما يستقبل منها. | (14) «أَسْرَرْتُ الشيء»: أخفيته، وأعلنته. |
| (5) «المولى»: المالك والمملوك. | (15) «رَتَوْتُ الشيء»: أظهرته، وكتمته. |
| (6) «السُدُفَة»: الظلمة والضوء. | (16) «شَعَبْتُ الشيء»: جمعته، وفرقته. |
| (7) «النَّاهل»: العطشان والريّان. | (17) «الماتِلُ»: القائم، و اللأطى بالأرض، |
| (8) «الجَوْن»: الأسود، وهو الأبيض. | (18) «الإهماد»: السرعة في السير، والإقامة. |
| (9) «الصَّريم»: الليل، والصبح. | (19) «بِعْتُ الشيء»: بعته، واشتريته. |
| (10) «الرَّهْوة»: الارتفاع، والانحدار. | (20) «شَرَيْتُ الشيء»: اشتريته، وبعته. |



حقيقة الدينار التونسي وآفاق قيمته



عوامل الإنتاج وبُذرتها على التأقلم مع التّطورات
المُستجدة وعلى كسب معركة المُنافسة.

فما هي حقيقة الدينار التونسي؟ ولماذا هي كذلك؟
وما هي الآثار المترتبة عليها والكيفيّة المُنتظر
التّفاعل بها؟ أو بالتحديد ماهية السّياسات النّاجعة
لجعل اقتصادنا يقوم بدوره كاملا في إنتاج الثروة
بالحجم الذي نحافظ به على كرامة كلّ التّونسيين
ونسدّ الشّروخ التي ظهرت في مُجتمعنا ونُحصّن بها
شبابنا ووطننا؟

I. حقيقة الدينار التونسي وأسبابها

في آخر تراجع للدينار التونسي، بلغ سعر الدولار

تتوسّط العملة المُبادلات في الاقتصاد النقدي،
وتتمثّل وظيفتها الرّئيسية في استعمالها كأداة دَفْع
نُمكن من الحُصول على ما يُريده المُشتري من سلعٍ
أو خدمات. وكلّ العملات، يُعتبر الدينار التونسي
محَرّارَ النّشاط الاقتصادي بتونس سواء المُعايِن منه
حاضرا أو المُقدّر قادمَ الأيّام.

وترتبط قيمة الدينار التونسي مُقابل بقية العُمَلات
بالسّياسة النقديّة للبنك المركزي وبنوعية سياسات
الحكومة وتصرّفها في الاقتصاد والمالية وبمناخ
الأعمال والاستثمار والمناخ الاجتماعي وبدرجة
الثّقة لدى المُستثمرين في الاقتصاد التونسي وبموقف
القوى العاملة من العمل ذاته ومُستوى إنتاجيته وبقية

اتبع البنك المركزي التونسي في السنوات الأخيرة سياسة التدخل، أكثر من مرة، لتعديل سعر صرف الدينار وذلك عبر عرض عملة أجنبية إضافية ليصبح السعر أقل في السوق وذلك بهدف كبح نسق تراجع قيمته.

الأخيرة سياسة التدخل، أكثر من مرة، لتعديل سعر صرف الدينار وذلك عبر عرض عملة أجنبية إضافية ليصبح السعر أقل في السوق وذلك بهدف كبح نسق تراجع قيمته.

وكان أول هذا التدخل خلال شهري أوت وسبتمبر 2011 ثم سنتي 2013-2014 وآخره في جوان 2016، كما سجل هذا التوجه تقلصا بنسبة 37 % سنة 2014 و 24 % سنة 2015 معللا البنك ذلك بأن ترك أمر تحديد سعر صرف الدينار للسوق كفيل بتحسين القدرة التنافسية وبالحفاظ على احتياطات الصرف وكذلك لتسهيل التعديل الخارجي.

والحقيقة أن محدودية احتياطاتنا من العملة الأجنبية لا تمكن البنك من الاستمرار في التدخل وإن فعل ذلك فإن التكلفة ستكون باهظة، فضلا عن أن تلك السياسة تشجع على الاستيراد وتُعيق التصدير وبالتالي تُعمق عجز الميزان التجاري مما يفتح الباب أمام تزايد التداين الخارجي.

الواحد 2.188 دينار وسعر الأورو الواحد 2.458 دينار. وبالعودة إلى الفترة ما بين سنتي 2008، سنة الأزمة المالية العالمية، و2015 فقد خسر الدينار التونسي 17 % من قيمته مقابل الأورو و37 % مقابل الدولار الأمريكي أي بمعدل سنوي 3.1 % و5.8 % تباعاً.

وقد تسارع نسق تراجع قيمة الدينار وبقوة ما بين ماي 2011 وماي 2016 حيث سجلت الأرقام تراجعاً بـ 23 % مقابل الأورو وبـ 55 % مقابل الدولار وبـ 36 % مقابل التناهي الدولار والأورو العُمَلَتين القويتين للاستثمار والمبادلات الخارجية والتداين بالنسبة لتونس مما يؤثر على استمرار تسجيل الدينار لخسائر طيلة ما يقارب العشرية من الزمن. وبعدم وجود مؤشر في الأفق لتوقف كل من معدلات أسعار صرف الدولار ومعدلات أسعار صرف الأورو عن الارتفاع مقابل الدينار واحتمال استمرار ارتفاعهما في حال إستفاضة كلٍ منهما من تراجع الجنيه الاسترليني نتيجة خروج بريطانيا من مجموعة الاتحاد الأوروبي، فإن المسألة تزداد خطورة وتعقيدا.

فأين السلطة النقدية ممثلة بالبنك المركزي من هذه الحقيقة المرة وما أسباب هذا التراجع الخطير؟

1.1 علاقة البنك المركزي بالدينار

تهدف السياسة النقدية التي يضطلع بوضعها البنك المركزي، كسلطة نقدية، توفير السيولة الضرورية ليتحقق النمو الاقتصادي في حالة من الاستقرار النقدي وذلك عبر ضمان زيادة مُتناغمة للكتلة النقدية (كمية العملة المُتبادلة في الاقتصاد) مع الزيادة المُنتظرة لكل من الأسعار والنشاط وعبر الحفاظ على سعر تبادل العملة (PARITE).

وقد اتبع البنك المركزي التونسي في السنوات

في تراجع مستمر منذ ثلاث سنوات وصلت سنة 2015 إلى 0.8 %).

- تنامي عجز الميزان التجاري (9.5 % من إجمالي الناتج المحلي).

- ازدياد حجم تحويلات الشركات الأجنبية لِمَنَا بَاتَهَا (Dividendes) بالعملة الأجنبية [من 29 % (2001-2010) إلى 38 % (2011-2014)] على حساب إعادة استثمار جزء منها في الدورة الاقتصادية التونسية [من 41 % (2001-2010) إلى 24 % (2011-2014)].
- محدودية تحويلات عمالنا بالخارج.

أمام كل هذه التراجعات فَقَدَ الدِّينَارُ التُّونِسِي قُدْرَتَهُ على الصَّمُود أمام قُوَّة كُلِّ من العملة الأوروبية الموحدة الأورو والدُّولَار الأمريكي.

I.3 أسباب تراجع النشاط الاقتصادي

وقد تراجع النشاط الاقتصادي في تونس لأسباب عديدة منها الهيكلي ومنها الظرفي سواء السِّيَاسِي أو الأمني أو الإداري أو التشريعي أو الاقتصادي أو الاجتماعي:

1.1.3 الأسباب الهيكلية

- برنامج الإصلاح الهيكلي المفروض من صندوق النقد الدولي سنة 1986.
- غياب نموذج اقتصادي تونسي مُتكامل الأركان ومُتحرر من النماذج المُستوردة.
- غياب وزارة اقتصاد تضع حدًا لتفتت المسؤوليات وتضع السياسات وتُنسّق فيما بينها وتكون مُرتبطة بطبيعة المُشكلات والعوائق أو مُسبباتها وخادمة لأهداف مُحدّدة وواضحة لتحقيق التوازن الاقتصادي في اتجاه الإقلاع الاقتصادي.
- خلل هيكلية التّمويل، فالتمويل البنكي والإيجار

شَكَّل كُلُّ من تدخّل صُنْدُوق النِّقْد الدَّولِي سنة 1985 ووضفطه نحو اتخاذ إجراء خفض قيمة الدينار ضمن «برنامج الإصلاح الهيكلي» وإمضاء تونس اتفاقية تتعلق بالتّعريفات الدّيوَانِيَة مع الإِتْحَاد الأوروْبِي سنة 1995 حدّثين مؤثّرِين على تطوّر قيمة الدِّينَار التُّونِسِي

ولم تمنع هذه السياسة من استمرار تراجع قيمة الدِّينَار مُقَابِل كُلِّ من الدُّولَار والأورو فما هي الأسباب الحقيقية وراء ذلك التراجع؟

I.2 أسباب تراجع قيمة الدينار

شَكَّل كُلُّ من تدخّل صُنْدُوق النِّقْد الدَّولِي سنة 1985 ووضفطه نحو اتخاذ إجراء خفض قيمة الدينار التونسي (Dévaluation) ضمن « برنامج الإصلاح الهيكلي » الذي فرضه وقبلته حكومة رشيد صفر آنذاك وإمضاء تونس اتفاقية تتعلق بالتّعريفات الدّيوَانِيَة مع الإِتْحَاد الأوروْبِي سنة 1995 حدّثين مؤثّرِين على تطوّر قيمة الدِّينَار التُّونِسِي.

من جهة أخرى، تخضع تَسْعِيرَة الدِّينَار التُّونِسِي إلى قانون العرض والطلب، وقد سَجَل ضغط قويٌّ على طلب العملات الأجنبية وتراجع حادّ على مستوى عرضها في السُّوق نتيجة عوامل عديدة أهمّها:

- تراجع النشاط الاقتصادي التونسي (نسب النمو

تدنى مُستوى الإنتاجية في كثير من القطاعات منها قطاعات الشركات غير المالية وقطاع المُنتجات غير الفلاحية حيث أن تكلفة عمل الأجراء تزداد أسرع من الأسعار كما يعكسه الفرق بين نمو الأجور الحقيقية ونمو إنتاجية العمل.

• تعثر آلة التشريع الاقتصادي على مستوى القوانين المُجسمة لفصول الدستور الجديد والمُلغية للقوانين غير الدستورية وتلك المُعيقة، منها التي تمنع الخواص من الاستثمار في 26 قطاعا من قطاعات الاقتصاد التونسي ومنها القوانين غير المُشجعة بالقدر الكافي على حُرّية خلق المؤسسات وعلى المُبادرة الاقتصادية كما هو الحال بالنسبة لقانون رقم 69-2007 بتاريخ 27 ديسمبر 2007

3.I.3 الأسباب الاقتصادية

• تدنى مُستوى الإنتاجية في كثير من القطاعات منها قطاعات الشركات غير المالية وقطاع المُنتجات غير الفلاحية حيث أن تكلفة عمل الأجراء تزداد أسرع من الأسعار كما يعكسه الفرق بين نمو الأجور الحقيقية ونمو إنتاجية العمل الذي سجّل 2.2 % كمعدل ما بين 2008 و2014 وتراجع إنتاجية رأس المال بمعدل 0.8 % ما بين سنتي 2011 و2015 مما أدى إلى تراجع كبير على مُستوى الاستثمار.

يُمثلان لوحدهما 90 % من التمويل الجملي للاقتصاد التونسي.

• هشاشة هيكله المؤسسات العمومية وعجزها الذي تجاوز 3 مليار دينار وجرّها النظام البنكي إلى التآزم.

• الافتقار لمجلس اقتصادي مالي نقدي للتنسيق بين مختلف السياسات في المجالات الثلاث حتّى تقوم كلّ الجهات بدورها على الوجه الأكمل وبتكامل.

• غياب مجلس اقتصادي اجتماعي بيئي يهدف للتوفيق بين المُستحقات الربحية للاقتصاد والمقاصد التنموية للمُجتمع.

• غياب وكالة للتدوين ولحُسن التصرف في المالية العمومية حتى ننأى بهما عن النزوات الفردية أو التوظيف الفئوي.

2.I.3 الأسباب السياسية والتشريعية

• سياسات الانفتاح على الاقتصاد العالمي غير المؤطرة منذ عُقود بالشكل الذي لم نحمي به النشاطات الاقتصادية ولم نستفد، بالقدر الكافي، من النشاطات ذات المزايا التفاضلية.

• السياسات الخادمة للفساد لعقدين من الزمن والتي أنشأت بيئة خصبة لمنظومة موازية للتجارة ولتداول العملة والاستثمار فشلت الحكومات المتعاقبة منذ 2011 في تفكيك شفراتها.

• غياب سياسات الدولة التّعديلية ظرفيا والإستراتيجية على المدى البعيد.

• مجلة الاستثمار غير المُشجعة على الاستثمار والإبتكار...

• مجلة الصّرف نظرا لما تحتويه من إجراءات غير واقعية ولعدم قُدرة فصولها على التأقلم مع التّطورات المُستجدة وعلى المُساهمة الفعّالة في كسب معركة المُنافسة.

- المناخ الاجتماعي المُتَوَثِّر الذي تسبب في غلق عدد من مصانع المُنَاوَلَة.
- عدم الاستفادة من وفرة المُنْتَجَات الفلاحية لعدم القدرة على الحفاظ عليها كالحليب والثَّوْمُور مثلاً ولضعف الاستثمار فيها ولمحدودية الصَّنَاعَات الغذائية....
- ضعف الدَّوْلَة أمام ظاهرة الفساد التي زادت استفحالاً منذ 2011 وأمام التَّجَارَة المُوازِيَة بما فيها المُتعلِّقَة بالعملة وعمليات المُضاربة.
- استهتار بقيمة العمل خاصَّة في الوظيفة العمومية والقطاع العام حيث تُشير بعض الإحصاءات إلى أن مُعدل مدَّة العمل الفعلي اليومي لا تتجاوز 10 دقائق.
- عدم النِّجَاح في كسب معركة المُنافسة خاصَّة مع المُنافسة الآسيويَّة والتركيَّة ممَّا زاد من عجز ميزاننا الخارجي.

I.4 حقيقة عجز الميزان الخارجي

وقد سجَّل الميزان الجاري عجزاً مُتزايداً بين الفترتين المتعاقبتين 1995-2010 بمعدل 3 % و2011-2015 بمعدل 8.4 %.

وارتبط عجز الميزان الخارجي بالقطاع الحقيقي أساساً ولم يكن نتيجة تراجع قيمة الدينار بل نتيجة تراجع الصَّادرات بسبب ضعف قُدرة تجارتنا التَّنَافُسيَّة كمَّا ونوعاً خاصَّة أمام دُولٍ مُنافسة لنا كالمغرب وتركيا واليونان وكوريا الجنوبية والبرتغال وتراجع موارد الدولة، من غير التَّداين، من العملات الخارجية عموماً.

وارتبط عجز الميزان الخارجي أيضاً بازدياد الواردات رغم الزَّيَادَة المُسجَّلة في أسعارها خاصَّة مع تراجع إنتاج الحبوب.

وقد شكَّل الارتفاع الكبير لنسبة الاستهلاك النَّهَائِي (من 78 % فترة 1995-2010 إلى 86 % فترة

ارتبط عجز الميزان الخارجي بالقطاع الحقيقي أساساً ولم يكن نتيجة تراجع قيمة الدينار بل نتيجة تراجع الصَّادرات بسبب ضعف قُدرة تجارتنا التَّنَافُسيَّة. كما ارتبط بازدياد الواردات رغم الزَّيَادَة المُسجَّلة في أسعارها خاصة مع تراجع إنتاج الحبوب.

- ضعف الاستثمار العام نتيجة ضعف حصَّته في ميزانية الدولة إذ أنها لم تتعدَّ 5 مليار دينار.
- ضعف الاستثمار الخاص لاعتبارات أمنيَّة ولعوائق تشريعيَّة فضلاً عن الاضطرابات الاجتماعيَّة.
- تراجع الاستثمار في قطاع المُؤسَّسات إلى نسبة 59.5 % في الفترة 2011-2015 مقابل 67.5 % في الفترة 2006-2010 وكذلك الاستثمار الخارجي المُباشر لعدم الاستقرار ولمناخ الأعمال غير المشجع والمناخ الاجتماعي المُضطرب ولعدم الثقة في مُستقبل الاقتصاد التونسي.
- تعطلُّ عدد من المشاريع الاقتصاديَّة والتَّنمويَّة لعوائق إدارية رغم الأموال المرصودة لها.
- تراجع النِّشاط السِّيَاحي لاعتبارات أمنيَّة.
- توقف إنتاج الفُسْطَاط ولفترات طويلة لاحتجاجات نقابية ولفشل الحكومات المُتعاوبة والمركزيَّة النقابية في حل الأزمة، مما كَلَّف المجموعة الوطنيَّة خسائر تفوق 4 مليار دينار خلال السَّنَين الخمس الماضية.

ارتبط عجز الميزان الخارجي بنمط التمويل الخارجي للاستثمار الجُملي حيث ازدادت الالتزامات قصيرة الأجل منذ 2010 على حساب الاستثمارات المباشرة الخارجية، ذات العائد الكبير مُتوسط المدى والبَعِيد، التي سجلت بدورها تراجعاً قوياً.

مزيد الصّادرات إلا أن أكثر المستفيدين من ذلك هي الشركات المنضوية تحت نظام (off shore) التي تُشكّل صادراتها 65 % من مجموع الصادرات التونسية ممّا يؤدي إلى الرّفع من هامش الربح لأغلبها وتقوم بدورها بتحويله إلى الخارج على حساب إعادة استثماره في الدورة الاقتصادية التونسية كما ذكرنا سابقاً.

كما لتراجع قيمة الدينار اثر سلبي مباشر على مبالغ خدمة الدين الخارجي نظراً لازدياد قيمتها مما يُشكّل ثقلًا إضافيًا على كاهل الدولة وعجزاً مُتزايداً لميزانيتها.

ومن الآثار القليلة الإيجابية ما قد يُسجّله تراجع قيمة الدينار من دفعٍ للسياحة والاستثمار وكبحاً لاستيراد المواد غير الضرورية إلا أن دفع كلّ من السياحة والاستثمار يخضع لعوامل أخرى غير العامل النقدي التي إن لم تتوفر فإنّ ذلك الأثر الإيجابي سيُبطّل مفعوله، من بين تلك العوامل نذكر الاستقرار والأمن والثّقة في الدولة والاقتصاد التونسي.

2011-2015) بالاعتماد على القروض الإستهلاكية التي ازداد حجمها أيضاً منذ 2011، عاملاً قوياً لزيادة الواردات وبالتالي زيادة العجز التجاري الخارجي.

كما ارتبط تزايد عجز الميزان الخارجي بضعف قدرة الدولة على التمويل نظراً لضعف الادخار المحلي إذ تراجعت نسبة الادخار إلى النصف في خمس سنوات (من 20.5 % سنة 2010 إلى 10.5 % سنة 2015).

وارتبط ذلك العجز أيضاً بنمط التمويل الخارجي للاستثمار الجُملي حيث ازدادت الالتزامات قصيرة الأجل منذ 2010 على حساب الاستثمارات المباشرة الخارجية، ذات العائد الكبير مُتوسط المدى والبَعِيد، التي سجلت بدورها تراجعاً قوياً.

وقد كَبَلَتْ هذه السياسة، التي انتهجتها الحكومات المُتعاقة منذ 2011، المالية العمومية ولم تُمكنها من تمويل العجز الخارجي بصفة ثابتة مما عمّق هذا العجز بفعل التّراكم.

II. آثار تراجع قيمة الدينار التونسي

يعني تراجع قيمة الدينار فيما يعنيه تزايد التّضخم باستيراده من الخارج وبالتالي ارتفاع تكلفة الحياة وإضعاف للمقدرة الشرائية للتونسيين والتونسيات مما يُشكّل ضغطاً إضافياً عليهم يدفع بفئات منهم نحو تعديل أنماط حياتهم ويزيد في إمكانية اتساع ظاهرة الفقر كنتيجة لتنامي ظاهرة البطالة وقلة خدمات الصّحة والتّعليم كمّاً وكيفاً بسبب نقص الموارد.

ومن آثار ذلك التّراجع أيضاً الضّغط المُتزايد على الشركات التي تعتمد في نشاطها على الاستيراد نظراً لارتفاع أسعار المواد المستوردة ممّا يدفع بعضها للإغلاق وما يعنيه ذلك من تراجع في نشاط الاقتصاد عموماً ومن تعميق لمشكلة البطالة.

من جهة أخرى يُؤدي تراجع قيمة الدينار إلى

(Dévaluation) بشكل رسمي خاصة وأنّ صندوق النقد الدولي قد سبق له أن تدخل سنة 1986 وضغط نحو اتخاذ مثل هذا الإجراء وهو يُعْتَبَرُ أنّ قيمة الدينار التونسي حالياً أكثر من حقيقته.

فهل أن السياسة النّاجعة اليّوم هي السياسة النّقدية مُتمثلة في خفض قيمة الدينار أم أن الأمر يتجاوز الدّائرة النقدية لِيُسْتَقَرَّ في الدّائرة الحقيقية للاقتصاد التونسي خاصّة وأنّ عجز الميزان الخارجي مُرتبط بالقطاع الحقيقي أساساً كما سبق أن تبينّ لنا؟

III.1 خفض قيمة الدينار ليس حلاً

يعني خفض قيمة الدينار التونسي (Dévaluation) خفض القوّة الشرائية له وارتفاع مُعدل التّضخم أي ارتفاع الأسعار ويُترجَمُ بِكبح حجم الواردات وزيادة حجم الصّادرات لان السّلع المحلية تُصبح أرخص من غيرها تقويةً للقُدرة التنافسية خارجياً وخلفاً لمواطن شغل إضافية.

ولمثل هذا الإجراء انعكاسات جد خطيرة حين يُترجم بتفاقم العجز الجاري خاصة حين نعلم أن خفض قيمة النّقد لا يمكن أن يحد من عجز الميزان التجاري، المُكون الرئيسي للميزان الجاري ، لان الجزء الأكبر من وارداتنا ضروري ولا يمكن الاستغناء عنه كالحبوب والنفط الخام والأدوية وغيرها.

أما صادرنا فإن تطورها في جزء كبير منها غير مرتبط بسعر صرف الدينار، فالصادرات من منتجات الطاقة مرتبطة بالدولار الأمريكي وصادرات المناجم مرتبطة بإعاقَة الإنتاج كما أن 80 % من الصادرات الفلاحية (الحبوب وزيت الزيتون) مرتبطة بالعوامل المناخية أما قطاع السياحة فالضرر الذي لحق به سببه امني مما يؤكد أن الحلّ ليس نقدي بل يكمن في المجال الحقيقي الذي يُمارس فيه النشاط الاقتصادي.

يعني خفض قيمة الدينار التونسي خفض القوّة الشرائية له وارتفاع مُعدل التّضخم أي ارتفاع الأسعار ويُترجَمُ بِكبح حجم الواردات وزيادة حجم الصّادرات لان السّلع المحلية تُصبح أرخص من غيرها تقويةً للقُدرة التنافسية خارجياً وخلفاً لمواطن شغل إضافية.

III. السياسات الكفيلة بإيقاف

تراجع قيمة الدينار

اتّخذ البنك المركزي التونسي مؤخراً إجراءات للحدّ من الآثار السّلبية لِتَدْخُرْج قيمة الدينار مُقابل كُُلّ من الدّولار والأورو تتعلّق بتحويلات العُملة وبالتّخفيف من الضّغط على سُوق الصّرف وتقوية مداخل السيّاحة عبر إدخال العملات غير قابلة للتحويل في العقود السيّاحية وإجراءات أخرى لجذب الموارد الخارجيّة للتّونسيين المُقيمين بالخارج.

وان كان هذا التّدخل ضمن صلاحيات البنك إلّا أنّ استمرار الاكتفاء بدور البنك المركزي في التّصدي لظاهرة انخفاض قيمة الدينار لن يُجدي نفعا لأنّ كل تدخّلاته السّابقة لم تمنع الدينار من خسارة مزيد من قيمته مُقابل كل من الدّولار والأورو.

كما أن الانخفاض الهام والمُستمر لقيمة الدينار (Dépréciation) قد يدفع إلى خفض قيمته

من بين الحلول الناجعة لوقف انهيار الدينار التونسي ترشيد التوريد وتأطير انفتاح اقتصادنا على الخارج مع المراهنة مستقبلا على نوعية منتجاتنا وخدماتنا والرفع من الإنتاجية وتأطير السوق السوداء أو الموازية.

والمناجم والسياحة والنسيج المدرة أكثر من غيرها للعملة الأجنبية وجعل الاتفاقيات مع الدول التي نفتح لها أسواقنا تقوم على مبدأي التعاون وضمن المصالح المشتركة ومنها عقلنة جلب «الماركات العالمية» بما يخدم قطاعنا الاقتصادية ومسألة التشغيل.

ومنها أيضا تعديل الأجور لاحتواء تبعات تدرج قيمة الدينار التضخمية خاصة وأنّ التضخم في تونس هو تضخم تكاليف خاصة مراعات الفئات الاجتماعية محدودة الدخل أو المحرومة.

ومنها إدخال التعديلات الضرورية التي اقترحها أهل الذكر على مشروع مجلة الاستثمار قبل المصادقة عليها وعلى مجلة الصّرف حفاظا على سعر تبادل الدينار (PARITE).

ومنها أيضا ترشيد التوريد وتأطير انفتاح اقتصادنا على الخارج مع المراهنة مستقبلا على نوعية منتجاتنا وخدماتنا والرفع من الإنتاجية وتأطير السوق السوداء أو الموازية....

III.2 الحلول هيكلية وظرفية كالأسباب

يواجه الاقتصاد التونسي مُشكلات بعيدة عن سوق الصّرف الذي لا يعدو أن يكون سوى مرآة تعكس الحالة الخطيرة التي وصل إليها الاقتصاد والتي دفعت البنك المركزي في مذكرته الأخيرة وصف وضعه بالمتدهور ونشاطه بالفتور وعجزه التجاري بالقياسي.

وكما أن الأسباب الرئيسية التي أدت إلى انهيار الدينار التونسي منها الهيكلي ومنها الظرفي سواء السياسي الأمني الإداري والتشريعي أو الاقتصادي والاجتماعي فإن الحلول لن تكون ناجعة إلا إذا كانت كذلك مُلغية لتلك الأسباب ومؤسّسة:

• لدور حديث للدولة المُعدلة ظرفيا والإستراتيجية على المدى البعيد

• ولهيكلة جديدة لبعض المؤسسات العمومية واعتماد الشراكة مع القطاع الخاص للبعض الآخر

• ولهيكلة جديدة للاقتصاد تقطع مع الهيكلة القائمة على ثنائية القطاعات.

• ولهياكل جديدة فاعلة كوزارة للاقتصاد ولمجلس اقتصادي مالي نقدي ولمجلس اقتصادي اجتماعي ولوكالة للتدوين ولحسن التصرف في المالية العمومية لكل منهم مهام سبق أن حدّدنا بعضها.

أما ظرفيا فإجراءات كثيرة مُستعجلة يجب أن تؤخذ أولها تفعيل التوافقات الأخيرة من تكوين حكومة وحدة وطنية وتنفيذ الأولويات المتفق عليها والقيام بالإصلاحات الضرورية مع مواصلة البنك المركزي في سياسته ولكن بتنسيق كامل مع بقية السياسات التي يجب أن تؤخذ وتُساهم في مواجهة التحديات حتى تُؤتي أكلها.....

ومنها التركيز على حلّ مشاكل قطاعات الطاقة



العقيدة الاسلامية الحقيقية التي أرادها الرسول في قلب كل مسلم



ومعراج إيماني وترقّ في مقامات الإحسان للوصول
الى العقيدة الصّافية.

والعلم المتعلّق بالعقيدة يسمّى: «علم التوحيد». وهو
العلم الوحيد الذي أمر الرّسول بالاستزادة منه. «وقل
رب زدني علما».

وكان الرّسول عليه السّلام يترقّى فيه كلّ يوم
من سبعين الى مائة درجة، لذلك كان يستغفر من 70
الى 100 مرّة في اليوم، استغفارا، ليس من ذنب ارتكبه،
بل من نقص علم مرّ به في درجة دنيا لما يترقّى
الى درجة عليا.

العقيدة الصّافية ليست بيانا يتلى ويحفظ عن ظهر
قلب. العقيدة الصّحيحة هي إفاضة نوريّة محمديّة على
القلب بحيث يحصل له مشاهدة.

الرّسول عليه السّلام لم يفسّر المتشابه من القرآن ولم
يعلن بيانا حصريّا عن الصّفات والمنسوبات الإنسانيّة
لله. لماذا؟؟ لأنّ العقيدة لا تستقرّ في القلب إلّا بالعلم
والمشاهدة: مشاهدة الذات مشاهدة قلبيّة دون البحث فيها.
وعلم الألوهة.

فالألوهة تعلم والذات تشهد. وهذا لا يتم مع لحظة
الدخول الى الاسلام... بل لا بد من مسيرة وسلوك

الرَّسُول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يفسر المتشابه من القرآن ولم يعلن بياناً حصرياً عن الصفات والمنسوبات الإنسانية لله. لماذا؟ لأن العقيدة لا تستقر في القلب إلا بالعلم والمشاهدة: مشاهدة الذات مشاهدة قلبية دون البحث فيها. وعلم الألوهة.

في بداية تعلّمه ولكن لا تفرض وتحدّد بها الثمرة، بل لا بدّ أن تكون منطلقاً لتجربة شخصية فردية إيمانية لتقبل العلم والثمرّة والنور، فتظهر حقائق أخرى وأسرار لطيفة كما في القضاء والقدر والوجود والعدم والتّجل وأنواعه والشّهود وغيرها من المواضيع التي لا تعرف إلا بعد تجربة سلوكية... من هذه الرّؤية نقبل بعقيدة الأشعري التي سجّلها الشّيخ الأكبر في مقدمة الفتوحات واعتبرها عقيدة العوام وكلّ النّاس أي مستوى أول من العقيدة مشترك بين الناس بعد دخول علم الكلام عليهم.

فالإيغال في النقاش الكلامي في مادّة العقيدة لا يفيد كثيراً لأنّ العقيدة لا تستقرّ إلا بالسلوك... ولا ينبغي تعويض التجربة الإيمانية السلوكية ببيان عقديّ أشعري أو ماتريدي يتلى ويحفظ... فهذا لا أثر له في القلب....

أما الوهابيّة، فيكفي بيان فساد عقيدتهم وبدائيتها عندما نتكلّم عن الألوهة ومعانيها.

وكان الصّحابة رضوان الله عليهم تظهر عليهم أنوار التّوحيد بفعل السلوك الاتّباعي النبوي الذي ينتهجه. ومن تلك الثّمرات: قصّة الصّحابي الذي سأله الرّسول عن حقيقة إيمانه، فقال له: «كأنّي أنظر إلى عرش ربي...»

وكان كلّ صحابيّ عنده تجربة إيمانية متميّزة تختلف عن غيره.... فالعقيدة لها مشترك واحد هو: «لا اله الا الله»، ثم تتفرّع ثمراتها الى ما لا نهاية... وكلّ ميسّر لمقامه... وكلّ مقام له ثمرة... وتجليات الله لا تتكرّر في الزّمن ولا تتكرّر على شخصين بنفس الأمر.

وبما أنّ النّاس ليسوا على مستوى واحد ولا مرتبة واحدة، فإنّه توجد مراتب مختلفة للعقيدة الإسلامية: مرتبة العوام ومرتبة المتعلّمين ومرتبة الخاصّة ومرتبة خاصّة الخاصّة. وانظر الى الشّيخ الأكبر «محي الدين بن العربي» كيف يسوق في مقدّمة الفتوحات كلّ هذه المستويات من العقيدة، مع أنّه يؤكّد أنّ إيمان العجائز أثبت في القلب من إيمان المتكلّمين العقليّين أصحاب الدليل العقلي.

والتّجسيم هو رؤية طفوليّة للعقيدة... يمرّ بها كل شخص... لكن بفعل الايمان والسلوك يرتقي في فهم عقيدته ويتجاوز التّجسيم رويدا رويدا.... ومن هذا الباب: يكون التّجسيم عقيدة الأطفال... حتّى لو اعتقدها بسطاء النّاس في بداية إسلامهم.... لكن يتجاوزوها بفعل العلم المتولّد من الإيمان... من هذا الجانب لا خوف من التّجسيم.

أمّا إن يفرض التّجسيم باعتباره رؤية عقديّة يحمل عليها النّاس كلّهم فهذا عين الجهل وعين الحمق.. لأنّه قطع مع تطوّر الإيمان وتحجير لثمراته.

كذلك تكون عقيدة «الأشعري» كباب تعريفي للمسلم



الدكتور عمار الطالبي
« أستاذ في جامعة الجزائر »

مقاصد الشريعة في المجتمع الإسلامي



«ملخص»

العملي وحياتها الواقعية في هذا العالم، وهذه المقاصد معان ثابتة منها ما يبلغ حدّ الضرورة التي لا تقوم حياة الإنسان دونها، ومنها ما إذا اختلّ شقٌّ عليه أن يحيا، فهو في حاجة إليها، ومنها ما يعتبر من الكماليات التي إذا ما فقدت لا يعسر على الإنسان أن يسير في الحياة سيرا لا يخلّ بها، ولا تضطرب سيرته دونها، وهي التي اصطلح عليها الباحثون في مقاصد الشريعة وحكمتها بالضروريات والحاجيات والتّحسينيات، وهي في حقيقتها تقوم على أساس فطرة الإنسان وخلقه البيولوجية والعقلية والأخلاقية السّوية، وهي كما يرى ابن عاشور (ت 1973) عامّة لكلّ الأمم: «ومن أعظم ما يقتضيه عموم الشريعة أن تكون أحكامها سواء لسائر الأمم المتبعين لها بقدر الاستطاعة، لأنّ التّماثل

مقاصد الشريعة الإسلامية تقوم على أساس الفطرة، والفطرة هي النّظام الذي أوجده الله في كلّ مخلوق، وهي فطرة عقلية، ومن هنا كانت عقائد الإسلام وتشريعاته جارية وفق ما يدركه العقل. ومن أهمّ مقاصد الشريعة هي السّماحة والاعتدال والتّوسط. وقد أن الأوان أن نجعل مقاصد الشريعة علماً مستقلاً عن الأصول، لنبني التّظرية الأخلاقية الإسلامية القائمة على أساس كرامة الإنسان.

لاشكّ في أنّ الشريعة الإسلامية تحمل في نصوصها الثّابتة من الكتاب والسّنة غايات عامّة عليا، ذات صبغة أخلاقية، تعمّ البشريّة من حيث هي، في سلوكها

تقوم مقاصد الشريعة الإسلامية على أساس الفطرة. والفطرة هي النظام الذي أوجده الله في كل مخلوق، وهي فطرة عقلية، ومن هنا كانت عقائد الإسلام وتشريعاته جارية وفق ما يدركه العقل.

في إجراء الأحكام والقوانين عون على حصول الوحدة الاجتماعية في الأمة، ولهذه الحكمة والخصوصية جعل الله هذه الشريعة مبنية على اعتبار الحكم والعلل التي هي مدركات العقول لا تختلف باختلاف الأمم والعوائد»⁽¹⁾، ولذلك كانت هذه المقاصد وما يبنى عليه من النظريات الأخلاقية الإسلامية كونية، لأنها ذات طبيعة فطرية تجمع بين الشرع والعقل والحس الأخلاقي⁽²⁾. ويصفها ابن عاشور بأنها هي «المعاني الحقيقية التي لها تحقق في نفسها التي تدرك العقول السليمة ملاءمتها للمصلحة أو منافرتها لها، أي تكون جالبة نفعاً عاماً أو ضرراً عاماً، إدراكاً مستقلاً على معرفة عادة أو قانون كإدراك كون العدل نافعاً، وكون الاعتداء على النفوس ضاراً، وكون الأخذ بيد الظالم نافعاً لصالح المجتمع»⁽³⁾؛ فهي إذن «معان حقيقية لها تحقق في الخارج وتلحق بها المعاني الاعتبارية»⁽⁴⁾.

(1) الفطرة أساس بناء المقاصد

يرى ابن عاشور أن بناء المقاصد الشرعية إنما يقوم على وصف أعظم للشريعة، ألا وهو «الفطرة»، وقد عني بمفهوم الفطرة عناية لم يسبق إليها من قبل، وفسر الفطرة التي وردت في القرآن⁽⁵⁾، وبيّن أن المراد بالدين هنا في الآية من سورة الروم إنما هو مجموع ما يسمى بالدين من عقائد وأحكام⁽⁶⁾، وكذلك فإن المراد بالفطرة: «جملة الدين بعقائده وشرائعه»⁽⁷⁾. وأشار إلى رأي ابن عطية (ت 541 هـ) الذي فسرهما بأنها: «الخلقة والهيئة التي في نفس الطفل التي هي معدة ومهيأة لأن يميز بها مصنوعات الله تعالى ويستدل بها على ربه جلّ وعلا، ويعرف شرائعه، ويؤمن به»⁽⁸⁾.

أما ابن عاشور فقد اجتهد في بيان معنى الفطرة، فأعطاه معنى عاماً وهو «النظام الذي أوجده الله في كل

مخلوق»⁽⁹⁾، ومعنى إنسانياً وهو «ما خلق عليه الإنسان ظاهراً وباطناً أي جسداً وعقلاً»⁽¹⁰⁾. وإذا وصف الإسلام بأنه فطرة فمعناه: «أنه فطرة عقلية لأن الإسلام عقائد وتشريعات وكلها أمور عقلية أو جارية على وفق ما يدركه العقل ويشهد به»⁽¹¹⁾. وذهب في هذا التفسير للفطرة بالعقل مذهب ابن سينا في النجاة، ودليله الذي أقامه على ماسمي بالرجل المعلق، وهو المعنى نفسه الذي ذهب إليه ديكرت في الاستدلال على وجود النفس وجوداً مستقلاً عن البدن، وخلص ابن عاشور من ذلك كله إلى «أن الفطرة النفسية للإنسان هي الحالة التي خلق الله عليها عقل النوع الإنساني سالماً من الاختلاط والرعونات والعادات الفاسدة»⁽¹²⁾. ولعل الفطرة تشمل أيضاً الجانب الأخلاقي الفطري وهو ما نسميه في عصرنا هذا بالضمير، وهو الذي أشار إليه من الشعور بالحياء مثلاً⁽¹³⁾، ولذلك فإن المقصد العام للشريعة عنده «لا يعدو أن يسائر حفظ الفطرة، والحذر من خرقها

**مقاصد الشريعة معان ثابتة
منها ما يبلغ حد الضرورة
التي لا تقوم حياة الإنسان
دونها، ومنها ما إذا اختل شق
عليه أن يحيا، فهو في حاجة
إليها، ومنها ما يعتبر من
الكماليات التي إذا ما فقدت
لا يعسر على الإنسان أن يسير
في الحياة سيرا لا يخل بها**

واختلالها»⁽¹⁴⁾، بل إن معنى الفطرة يقتضي «حفظ نظام العالم» بحفظ النوع الإنساني وضبط تصرف الناس في هذا العالم على وجه يرقى به ولا يتعرض للفساد والهلاك، ولا يتم ذلك إلا بتحصيل المصالح، ودفع المفسدات عن المجتمع الإنساني الذي به تعمر الأرض وتتطور الحياة الاجتماعية، لأن المقصد العام للشريعة إنما هو «حفظ نظام العالم»⁽¹⁵⁾ بأسره الذي يتوقف صلاحه على صلاح عقل الإنسان وصلاح عمله، وصلاح العالم الذي يعيش فيه، لأن الحضارة والثقافة الراقية من الأشياء التي يطلق عليها الأصوليون اصطلاح «التحسينية» مثل «رعاية أحسن المناهج في العادات والمعاملات» التي تقبل التطور والتحسين باستمرار؛ ويحدد ابن عاشور المصالح التحسينية بأنها «ما كان بها كمال حال الأمة في نظامها حتى تعيش أمنة مطمئنة ولها بهجة منظر المجتمع في مرأى بقية الأمم»⁽¹⁶⁾. فالقيم الجمالية مقوم من أهم مقومات الحضارة تأتي بعد القيم الأخلاقية وتساندها، فالصبغة الفطرية للدين أدت بالأخلاقيين

المسلمين إلى اعتبار «المعاني السلوكية المشتركة بين الدين الإسلامي وعلم الأخلاق معاني فطرية وينزلونها منزلة الكليات الأخلاقية المشتركة بين الأمم جميعاً»⁽¹⁷⁾.

وقد عرّف طه عبدالرحمن الفطرة تعريفاً لا يخرج عما أشرنا إليه وهي: «عبارة عن الهيئة الخلقية والروحية التي أودعها الخالق سبحانه نفس الإنسان والتي تعرفه بعبوديته له وحده»⁽¹⁸⁾، وهذا يتفق مع تعريف ابن عطية الغرناطي، لأن المقصود الأعظم للشرائع الدينية إنما هو تقويم السلوك الخلقي، ولأن الحقيقة الخلقية موصولة بالحقيقة الدينية وصلا لا انفصام فيه، بناء على أن المعرفة الفطرية تكون ضرورية أحياناً، واستدلالية أخرى، ولذلك يرى ابن عاشور أن استقراء أدلة كثيرة من القرآن والسنة الصحيحة يوجب لنا اليقين بأن أحكام الشريعة الإسلامية منوطة بحكم وعلل راجعة للصلاح العام للمجتمع والأفراد⁽¹⁹⁾، فهي قصد منها ما فيه صلاح البشرية في عاجلها وأجلها ويقصد بذلك ابن عاشور حاضر الأمة ومستقبلها، ولا يقصد بالأجل الآخرة «لأن الشرائع لا تحدد للناس سيرهم في الآخرة، ولكن الآخرة جعلها الله جزاء على الأحوال التي كانوا عليها في الدنيا»⁽²⁰⁾.

(2) أهم مقاصد الشريعة

ومن أهم مقاصد الشريعة بل أول أوصافها ما سماه الطاهر بن عاشور بالسماحة وهي الاعتدال والتوسط، وفسرت به الأمة الوسط، فالوسط هو العدل بين طرفي الإفراط والتفريط، فالسماحة هي السهولة التي لا تتنافى مع التشدد والتنطع، واستند في ذلك إلى أدلة قاطعة من القرآن؛ من ذلك قوله تعالى: «يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر»⁽²¹⁾، وقوله: «وما جعل عليكم في الدين من حرج»⁽²²⁾؛ وفي الحديث الصحيح «أحب الدين إلى

**من أهم مقاصد الشريعة
هي السّماحة واليسر ورفع
الحرص والضيق. والسماحة
هي الاعتدال والتوسط،
وفسرت به الأمة الوسط،
فالوسط هو العدل بين
طرفي الإفراط والتفريط،
فالسماحة هي السهولة
التي لا تتنافى مع التشدد
والتنطم.**

جاء بها البشر في موثيق متعدّدة في العصور الأخيرة، حيث بنيت على توق الإنسان إلى العدل والكرامة الإنسانية، ولكن تطوّرت حقوق الإنسان باعتبارها نظاماً أخلاقياً لا دينياً، واتجهت إلى أن تصبح هي أساس القانون الدولي ومعيّاره. فهذه الحقوق إذن نظام معياري قائم على إجماع النّاس (25)، والحقيقة كما قال دستوفيسكي (26): «إذا قيل بعدم وجود الله فإن كل فعل شيء مسموح به» (27)، فهبّ المسلمون بعد صدور هذه المواثيق الدّولية إلى الإعلان الإسلامي العالمي لحقوق الإنسان (28) في 19 سبتمبر 1981 وأصبح هذا الإعلان وثيقة ممتازة في مادّة المذهب الإسلامي لحقوق الإنسان، وصدر بلغات ثلاث: العربيّة والإنجليزيّة والفرنسيّة.

وقد أرسى دعائم هذه الحقوق الشّيخ الطاهر بن عاشور فأشار إلى المساواة وإلى الحرّية وإلى حقوق العمّال وحقّ إنتاج الثّروة والملكيّة والتّبرعات والمواساة أو ما يسمى اليوم بالإغاثة لما فيه من مصالح عامّة وخاصّة. وإذا كان

فالسماحة واليسر ورفع الحرج والضيق إذن من مقاصد الدين وغاياته، ولذلك يرى الشاطبي (ت 790هـ): «أن الأدلة على رفع الحرج في هذه الأمة بلغت مبلغ القطع» (24). ويبين ابن عاشور «أن حكمة السماحة في الشريعة» مبناها على أن الشريعة فطرية ذات جبلة في النفوس، يسهل عليها قبولها، والفطرة تنفر من الإعنات والشدة؛ واقتضى ذلك أن يكون العمل بها سهلاً وبذلك كانت أكثر ملاءمة للنفس الإنسانية. فاليسر من الفطرة، ولذلك كان لها أثر عظيم في انتشارها ودوامها، لأن في فطرة النّاس حبّ الرفق، وهذا اليسر إنّما هو ذو صبغة فطرية واضحة يتصرّف الإنسان بحسبها، ففي طبيعة الإنسان هذا الشّعور بهذا المعنى، وغاية الحضارة تيسير أمور حياة النّاس ورفع المشقّة عنهم، ولذلك جاءت الشريعة بأمر «التغيير والتقرير» على حدّ تعبير ابن عاشور؛ فهي يقصد بها تغيير أحوال النّاس إلى ما هو أفضل، وإقرار ما هو خلقي ومتفق مع الفطرة من العادات الصالحة والأعمال النافعة، وهي التي تسمى في الشريعة بـ «المعروف».

ومما ينبني على الفطرة المساواة بين أفراد الأمة، فهم سواء في الحقوق فلا تفاوت بينهم من حيث كونهم مسلمين، لتساويهم في الجامعة الإسلامية ولتساويهم في الخلقة. فهم متساوون في حقّ الحياة والوجود، ولا عبرة بالألوان والأشكال والأعراق واختلاف المواطن التي يعيشون فيها. وهم متساوون في أصول التشريع إذا لم يوجد مانع يمنع من ذلك. وهم متساوون في وجوب حفظ الدّين والنّفس أو العقل والأموال وما إلى ذلك من الضروريات لحياة الفرد وحياة المجتمع.

إن ابن عاشور رتب على ذلك حقوق الإنسان، التي

أن الأوان لأن نجتهد في مقاصد الشريعة وأن نجعلها علماً مستقلاً عن الأصول باعتبارها قواعد لغوية ومنهجاً كما اقترح الشيخ بن عاشور، لندخل في ذلك مكانة الإنسان في الوجود من وجهة نظر الإنسان، وما ينبني على ذلك من مفاهيم قيمية متعلقة به

مبدأ حقوق الإنسان منطلقه الدولة لا الدين، فإن الإسلام أقرّها وأقرّ أساسها وهو الفطرة التي يمكن أن ترادف الحقوق الطبيعية للإنسان، وقد تكلم في هذا الموضوع «الإسلام دين الفطرة» الشيخ عبدالعزيز جويش رحمه الله في كتابه الإسلام دين الفطرة والحرية⁽²⁹⁾، واعتبرت الثورة الفرنسية أن حقوق الإنسان الطبيعية هي الحرية والملكية والأمن وحق مقاومة الجور.

أظن أنه أن الأوان لأن نجتهد في مقاصد الشريعة وأن نجعلها علماً مستقلاً عن الأصول باعتبارها قواعد لغوية ومنهجاً كما اقترح الشيخ الطاهر بن عاشور، لندخل في ذلك مكانة الإنسان في الوجود من وجهة نظر الإنسان، وما ينبني على ذلك من مفاهيم قيمية متعلقة به، لأنه هو المخاطب بالشرائع، وأعتقد أن النظرية الأخلاقية الإسلامية يمكن أن تبني على أساسين عظيمين: مبدأ الفطرة ومبدأ كرامة الإنسان التي صرح بهما القرآن؛ يضاف إلى ذلك المبدأ الذي استقرئ من الشريعة قطعياً وهو مصالح الناس ودفع المضار والمفاسد عنهم، وهذه

القيم لا تنبني على مجرد العقل، وإنما تأخذ بعداً أعمق وهو البعد الديني الإسلامي الذي صرح به القرآن وعبر عنه المتكلمون والمتصوفة بالميثاق الذي أقر الإنسان بموجبه بالربوبية لله وحده في عالم الذر: «وإذا أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم؟ قالوا بلى شهدنا»⁽³⁰⁾، كما تؤخذ بعين الاعتبار الجهود التي بذلها المفكرون المسلمون المعاصرون في وضع ميثاق حقوق الإنسان من جهة نظر الإسلام ودراساتها وتحليلها وبنائها في نسق واضح، لأن أدلة الشريعة اللفظية لا يستغنى بها عن المقاصد والغايات الكلية⁽³¹⁾، وعلى الديانات الثلاث أن تتحمل مسؤولياتها في هذا الجانب وأن تدعو إلى نظام أخلاقي عالمي جديد، كما دعي إلى نظام عالمي في التجارة وغيرها⁽³²⁾، لأن عالم اليوم أخذ في الانفلات وأخذ منطق القوة يقود العالم إلى الفوضى والتدمير، والمسلمون يتحملون المسؤولية لأنهم أمة الشهادة، وأمة الدعوة إلى الخير، خير الإنسانية قاطبة؛ علينا أن ندعو إلى «كلمة سواء» وهذه الكلمة تقوم على ماهو مشترك بين الأمم من القيم الأخلاقية والدينية والثقافية، وهي اليوم تتجه إلى أن تصبح مدينة واحدة تحتاج إلى السلام والأمن في النفس وما تملك، ل يتمتع الإنسان بنعمة هذا السلام الذي تتغنى به البشرية، ولكنه لم يوثق في ميثاق مجمع عليه وعلى تنفيذه حق التنفيذ، وإنما نرى أخلاقاً تقبل على خرق الأمن وتتفق على ارتكاب المظالم وتدمير الأمن في أوطانهم بدعوى لم يقم عليها برهان..

يقول ابن خلدون: «وإذا فسد الإنسان في قدرته على أخلاقه ودينه فقد فسدت إنسانيته، وصار مسخاً على الحقيقة»⁽³³⁾ «الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون»⁽³⁴⁾، مهتدون إلى حفظ كرامة الإنسان الذي أضفى عليه القرآن الكريم قداسة

**من أعظم ما يقتضيه
عموم الشريعة أن تكون
أحكامها سواء لسائر
الأمم المتبعين لها بقدر
الاستطاعة، وحريصة أشد
الحرص على تحقيق الأمن
والمساواة والرفق للجميع،
وتراعي في أحكامها
مصلحة نظام العالم بحفظ
مصلحه.**

في وجوده كله، لا يجوز العدوان عليه في جسمه ولا في نفسه ولا في معتقده ولا فيما يملك، وهذه كلها مقاصد شرعية إسلامية ثابتة عامة لبني الإنسان من حيث هم أناسي مكرمون في هذا الوجود، ولذلك كانت الشريعة حريصة أشد الحرص «على تحقيق الأمن والمساواة والرفق، وتراعي في أحكامها مصلحة نظام العالم بحفظ مصلحه»⁽³⁵⁾.

إن هذه «الضروريات مراعاة في كل ملّة» وليست مكارم الأخلاق من مجرد صنف التحسينيات كما يرى الأصوليون، بل هي عصب شبكة العلاقات الاجتماعية لا يستقرّ لها قرار دون قيم أخلاقية تستند إليها الحياة الاجتماعية والفردية، ولذلك فإنني أوافق الزميل طه عبدالرحمن على نقده للأصوليين في هذا الرأي الذي يجعل مكارم الشريعة أو الأخلاق من قبيل المسائل «التحسينية» فحسب.

على المسلمين اليوم أن يجعلوا هذه القيم واقعاً حياً في حياتهم، ثم يمكن لهم أن يدعوا الناس في العالم إلى هذا الميثاق المشترك بين البشرية جمعاء، وهو الكلمة السواء، والعهد التي تدفع إرادة القوة والتسابق في مجال امتلاك الأشياء المادية على حساب الإنسان، بالعدوان على كرامته وحقوقه.

علينا أن نتجه إلى ملء هذا الفراغ بالتعاون مع كل إنسان يتوق إلى الأمن والسلام والحرية والحق. «ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم»⁽³⁶⁾.

الهوامش:

(1) محمد الطاهر بن عاشور، مقاصد الشريعة الإسلامية، تحقيق محمد الحبيب بن الخوجة، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، 1425 هـ / 2004 م، ص 262.

(2) طه عبدالرحمن، سؤال الأخلاق، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 2000، ص 157.

(3) محمد الطاهر بن عاشور، المصدر نفسه، ص 165 - 166.

(4) المصدر نفسه، ص 171.

(5) سورة الروم، 30، «فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله التي فطر الناس عليها. لا تبديل لخلق الله. ذلك الدين القيم».

(6) محمد الطاهر بن عاشور، المصدر نفسه، ص 176؛ التحرير والتنوير، ج 21، ص 92.

(7) محمد الطاهر بن عاشور، مقاصد الشريعة الإسلامية، ص 179.

(8) ابن عطية، المحرر الوجيز، قطر، 1406 / 1985، ج 11، ص 453.

(9) محمد الطاهر بن عاشور، المصدر السابق، ص 179.

يمكن أن تبنى النظرية الأخلاقية الإسلامية على أساسين عظيمين: مبدأ الفطرة ومبدأ كرامة الإنسان التي صرح بهما القرآن؛ يضاف إلى ذلك المبدأ الذي استقرئ من الشريعة قطعياً وهو مصالح الناس ودفع المضار والمفاسد عنهم

- (21) سورة البقرة، 185.
- (22) سورة الحج، 78.
- (23) أخرجه البخاري تعليقا، وأخرجه في الأدب المفرد.
- (24) الشاطبي، الموافقات، دار المعرفة، بيروت، (د ت) ، ج 2، ص 79 – 80.
- (25) Le Consensus des hommes.
- (26) DeStoievsky.
- (27) Dieu, tout acte mauvais est permis Dilny.
- ويقرب من هذا الحديث: «إذا لم تستح فاصنع ما شئت».
- (28) Declaration islamique universelle des droits de l'homme.
- (29) دار الهلال، (د ت) . ولا يقصد بـ «الطبيعة» هنا ما يقصده بعض الفلاسفة الغربيين حالة الإنسان في المجتمع الطبيعي الذي لا يحمه قانون ولا خلق ولا مدنية، مع اختلافهم في معنى الطبيعة أهى شر أم خير.
- (30) سورة الأعراف، 172.
- (31) محمد الطاهر بن عاشور، مقاصد الشريعة الإسلامية، ص 79.
- (32) طه عبدالرحمن، سؤال الأخلاق، ص 146.
- (33) ابن خلدون، المقدمة، دار الجيل، بيروت، (د ت) ص 414.
- (34) سورة الأنعام، 82.
- (35) محمد الطاهر بن عاشور، مقاصد الشريعة الإسلامية، ج 2، ص 117.
- (36) سورة فصلت، 34.
- المصدر:**

- (10) المصدر نفسه، ص 179.
- (11) المصدر نفسه، ص 180.
- (12) المصدر نفسه، ص 182.
- (13) المصدر نفسه، ص 184.
- (14) المصدر نفسه، ص 185.
- (15) المصدر نفسه، ص 194.
- (16) المصدر نفسه، ص 243.
- (17) طه عبدالرحمن، تجديد المنهج في تقويم التراث، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 1414هـ / 1993م، ص 388.
- (18) المصدر نفسه، ص 405. ولعله متأثر بابن عطية.
- (19) محمد الطاهر بن عاشور، مقاصد الشريعة الإسلامية، ص 37.
- (20) المصدر نفسه، ص 36.





رفيق الشاهد
«مهندس»
chahed@meteo.tn

الثورة والعمل



غامضة؟ ألجفاف الأقلام في عهد أصبحت الكتابة دون قلم ودون حبر؟ أم لغياب المنتصر الذي تعود كتابة التاريخ وتوثيقه عاجلا دون تردد. أين المنتصر في هذه الثورة؟ وإن كان لابد من منتصر، فأين المنهزم؟

لما كانت تندلع الثورات وتقوم على مبادئ إنسانية لتركيز نظم حياة جديدة ترتقي بالعنصر البشري وتتبنّاها شخصيات ملهمة هم فلاسفة العصر فينظّرون لها ويدعمونها بدساتير جديدة تكرّس العدالة والتنمية والكرامة، باغتت ثورتنا كلّ السياسيين والمهتمين بالشأن العام وافتقدت للقائد الذي يسيّر الأحداث ويرسم الأهداف

أقلّ الثورات ضررا وأقلّها تكلفة ثورة تونس التي مازال شبابها وشيوخها ينتظرون مستحقّاتها الضائعة بين مفردات ضبابية المعاني تحلّت وذابت في واقع طغى عليه غياب الوعي الاجتماعي واضطراب المفاهيم العقائدية.

حملت هذه الثورة منذ أيامها الأولى ألغازا حيرت المحلّلين السياسيين والمهتمين بالشأن العام فسال حبر كثير ليلطخ عديد الصّحف بالتقارير المبنية على الظنون وسال حبر آخر لا يقلّ أهمية للتكذيب والسب والتّقريع. لماذا تأخّرت كتابة أحداث هذه الثورة التي لا تزال

ماذا ننتظر من ثورة أبعدت عنها العقلاء والحكماء واستهزأت برموز الفكر والفلسفة واستصغرت شأنهم ليبقى الفضاء شاسعا ورحبا يصل فيه ويجول كل من رأى في غياب السلطة فرصة للتموقع وتوسيع نطاق تجارته.

دستور الجمهورية الثانية وهو انتصار هؤلاء المحامين لفائدة فئات حزبية وعقائدية مما دفع المتابع للشأن العام للنسائل فعلا عن مدى صلوحية هذا الدستور. والجواب لم ينتظر كثيرا وبدأت الأفكار تتبلور وتسير نحو التعديل. والسؤال الأهم الذي يطرح اليوم كيف يمكن إصلاح الانحرافات التي حصلت وتأكدت من يوم لآخر. هذه التغيرات الاجتماعية كبيرة ومتعددة المظاهر وأهمها طلب الكسب بأقل جهد والحصول على ما ليس لك عملا بشعار الغاية تبرر الوسيلة، وما يمكن الحصول عليه اليوم قد يستحيل مطلع يوم غد. هل يجب أن نعيد التفكير في مفهوم العمل والشغل والتشغيل أم أنّ هذه المفاهيم لا تستوجب إلا التذكير ومزيد التوضيح.

كل عمل يتطلب مستخدما ومستخدما وعلاقة موثوقة بينهما تحدّد قيمة العمل ومجاله ومدى تحقيق الهدف منه وما النفع الذي يعود من العلاقة التشغيلية بين الأطراف المشاركة في العملية.

فاختلف المتنافسون على قيادة هذه الثورة بعد أن انطلقت شرارتها واندلع حريقها وبلغت نقطة اللاعودة بفرار رأس السلطة.

ماذا ننتظر من ثورة أبعدت عنها العقلاء والحكماء واستهزأت برموز الفكر والفلسفة واستصغرت شأنهم ليبقى الفضاء شاسعا ورحبا يصل فيه ويجول كل من رأى في غياب السلطة فرصة للتموقع وتوسيع نطاق تجارته. تجار حرب لا يعينهم ما يبيعون من أسلحة ومخدرات وما يبيثون من وهم وما يزرعون ويتبادلون من قتن مأربهم بلوغ يوما السلطة المفقودة التي قد تمكنهم من مزيد ازدهار ونماء ثرواتهم. سارع هؤلاء بالاحتفاء برجال القانون ليوجهونهم على خطى سابقهم عبر الطرق الملتوية لمعرفةهم للشغرات المدروسة. والنتيجة لما قامت ثورة على قوانين جائرة، وقلب الوضع مرتين، سنّت قوانين أكثر جورا.

دور المحامي الصادق بيان الحقيقة لصالح من نوبه وتوجيهه إلى الهدف المرسوم دون مخالفة النص القانوني طالما يحرسه القاضي، وقيمتها المضافة في مدى معرفته بإخلال النص ونقائصه ومدى قدرته على تأويلها والاستفادة منها لصالح منوبه. أما أصحاب الفكر ورجال الفلسفة فنظرتهم شاملة لتغيير أنظمة حكم وتركيز قيم اجتماعية فكرية وعقائدية دون اعتبارات شخصية ولا فئوية.

بالرجوع إلى دليل توجيه الطلبة كنت أتساءل دائما لماذا تم ربط العلوم السياسية بمهنة المحاماة دون سواها؟ ألم تكن أفضل حالا مما نحن عليه لو ارتبطت العلوم السياسية بالعلوم الاقتصادية أو بإحدى العلوم الاجتماعية الأخرى؟ ألم يتصدّر المشهد البرلماني محامون ومحامون دون صفة يفصلون الأحكام على مقاسات سادتهم ونزواتهم. والشكوك صار غثها فتشبهت وأكدت الأيام تخوف بعض الحكماء من فخاخ نصبت في

ظهر المجتمع. إنّ تغليب أحد طرفي العلاقة التّشغيلية ييطل المعادلة ويصيب الخسران الدّولة أولا والطرف المغلوب ثانيا ثم لا مناص لمن ظنّ نفسه غالبا.

أصبح المّعاش اليومي معقّدا تحت كثرة التجاذب والصراعات بين فئات غير متجانسة لا تحكم تعاملاتها لا قوانين ولا ضوابط تحدد الأخلاق التي نشأ عليها كل فرد. عمل مُمنهج للتشكيك في المفاهيم الحاصلة والمعتمدة ولزعزعة الثوابت الثقافية وطمس تراثنا والهوية التي على قدر ما أسالت جبرا أذرفت لنا دمعاً. هل يجرّنا هذا إلى إعادة النّظر في معاني المصطلحات المتعلّقة بالثقافة والتّراث بما يتماشى والمفهوم العام لهذه الحقبة من الزّمن؟ دون أن ننسى هذه الهوية التي تحصن بها البعض وتوقع خلفها واتّخذها البعض الآخر حصان طروادة لغاية لا تُدرك بدونها. إنّ ما يحدّد قيمة الأشياء في زمن ما، هو مدى تجاوب الجيل الذي يعيش ذلك الزّمن ومدى تفاعله وكيفية استخدامه لتلك الأشياء. ألا يصحّ القول أنّ رجل اليوم ليس رجل العهود القديمة؟ فكيف لا يمكن إذن أقلمة النّاس على أساليب وقوالب حديثة تتماشى وزمانهم؟ قد لا يتغير الإنسان في شكله ولكنه يتغيّر كلّ يوم في فكره. إنّّه في تطوّر مستمر. أنا اليوم لست كما البارحة ولن أكوني هذا المساء أنا نفسي على ما أنا عليه الآن. لا معنى للفتة أنا خارج الزّمن الذي نُطقت فيه. «أنا» تفيد الكيان والصّيرورة حاضرا في المكان والزّمان.

إذا ما رجعنا بالنّظر إلى التّاريخ يتّضح لنا أنّه من حقّ الشّعوب أن تتطوّر وأن تختلف وتتضارب أفكارها وتتصارع وما الشكّ إلّا طريق لليقين، ولكن شعوبنا الضّعيفة التي مازالت تقودها المصلحة الخاصّة والفئوية بدعم من قوى بالمرصاد تدكّي نيران الفتنة، كلما اشتدّ الصّراع فيها لا يسود إلّا متسلّط. وعليه أصبح من اليوم ضروريا أن تُراجع المفاهيم والقيم التي مازلنا نعتقد في أزليتها. كل شيء يتطوّر أو لا شيء يتطوّر.

أصبح المّعاش اليومي معقّدا تحت كثرة التجاذب والصراعات بين فئات غير متجانسة لا تحكم تعاملاتها لا قوانين ولا ضوابط تحدد الأخلاق التي نشأ عليها كل فرد. عمل مُمنهج للتشكيك في المفاهيم الحاصلة والمعتمدة ولزعزعة الثوابت الثقافية وطمس التراث.

المستخدم هو من يحدّد ما يجب القيام به لبلوغ هدف أو منفعة والمستخدم هو الذي ينجز المهمة المتّفق عليها كما حدّدت مسبقا. وقد يكون الهدف المحدّد من العمل المطلوب جزئيا يتشارك مع أهداف أخرى لتكوّن هدفا أكبر وأشمل قد لا تعني للمستخدم شيئا دون أن تتجاوز العلاقة مجالها المحدّد.

هكذا تقدّمت الصّناعات في أوروبا ولا تحقّر دور العامل البسيط في المجال المحدّد له بدونها لا يمكن إتمام المشروع وإنجاز المنتج النهائي بالمواصفات التي حدّدها الحريف. وقد جاءت قوانين الشّغل لتضبط هذه العلاقة التّشغيلية حتى تحمي حقّ العامل في الأجر والعمل في ظروف سليمة وتحقيق كرامته من جهة وتضمن من جهة أخرى حقّ المؤجّر الذي يأمل بلوغ هدفه المنشود وهو الاستجابة لطلبات السّوق والتّأهل للتّصدي للمنافسة. وراء كل هذا تكون الدّولة المستفيدة الثالثة والأهم بتنشيط النّمو الاقتصادي وما ينجّر عنه من تحسين الأوضاع الاجتماعيّة ومجابهة البطالة قاسمة

**صدر في آواخر شهر جويلية
الكتاب الرابع عشر
من سلسلة «كتاب الإصلاح»**

**«هل هناك حرب عادلة؟»
بقلم : د. جميل حمداوي**





جيش في مواجهة مقاوم ومقاومة تصارع دولة



حصيناً، قبل أن تحيط بالبيت الذي تحصّن فيه الشهيد «محمد الفقيه»، وما هي إلا دقائق قليلة حتى استحالت بلدة «صوريف» إلى ساحة قتال وميدان مواجهة، ومزّق صمت المكان الذي خيم على البلدة والسكان، أصواتٌ مذعورةٌ خائفة، تفتقر إلى الثقة والطمأنينة، وتخشى الخيبة والخسارة، خرجت عيبةً ولكنها غير عربية من مكبرات صوتٍ تحملها عرباتٌ عسكرية، تنادي على «محمد الفقيه» أن يلقي سلاحه ويستسلم، وأن يخرج من مكمنه ولا يقاوم، وتنبيهه بأن المكان كله محاصر، ولا فائدة من المقاومة والصمود،

جيشٌ لجبٌ وقوةٌ جبارةٌ، ولقيفٌ كبيرٌ من القادة وكبار الضباط العسكريين ورجال الأمن الإسرائيليين، ومعهم المئات من الجنود وعناصر الشرطة، المدجّجين بالسلاح، والمزوّدين بكلّ وسائل القتال والمواجهة، التي تعززها الطائرات والدبابات والعربات المدرّعة، ومعها الجرّافات والآليات الثقيلة.

وقد سبقت جحافلهم قراراتٌ بمنع التّجوال، ووضعت قواتٌ أخرى حواجز عسكرية أغلقت الشوارع والطّرق، وجعلت من البلدة مربعاً أمنياً

**كان «محمد الفقيه»، مثال
الفلسطيني المقاوم،
المتمسك بحقه والرافض
الخنوع لعدوه، مهما بلغت
قوته وزادت عنجهيته، وقد
كان يعرف ما يريد، ويدرك
ما يقوم به مختاراً راضياً،
مصمماً ماضياً، ليعلم العدو
أن هذا الشعب مثاله، وهو
منه واحدٌ وعنهم لا يختلف.**

ترى هل كان في البيت الذي حاصره جنود الاحتلال بهذه الأعداد الكبيرة غير محمدٍ واقفاً، وسواه مقاتلاً يحمل سلاحه، ويطوي في قلبه يقينه، وهل ظن العدو أن بين جدران هذا البيت جيشٌ يقاتل، ومسلحون كثُرٌ يتحصنون، فاستخدم هذه القوة المفرطة، واستعان بكل هذه القطع من الآليات والسلاح والعتاد، فدمر البيت وقوض أركانه، وسوى بالتراب بيوتاً أخرى كثيرة في المكان والجوار، ظناً منه أن فيها مقاتلون، وأنهم منها سينطلقون وسيهاجمون، فعجل بتدمير كل شيء حتى بات المكان وكأنه قد أصابه إعصارٌ أو نزل به زلزالٌ فدمره وبعثره، ووقف فوق ركامه يعلن انتصاره، ويزهو بدماره.

قد يظنّها البعض معادلة خاسرة، ومعركة فاشلة، تفتقر إلى التوازن والتكافؤ، وتعاني من الخل والاضطراب، وتشكو من انعدام الثقة وفقدان الأمل، إذ أن نتيجتها محتومة قطعاً، وخاتمتها معروفة مسبقاً،

والعناد وعدم الخضوع.

لكنّ محمد الذي سبق له أن سُجن وأُعتقل، وعُذّب واضطهد، وعرف معاناة الأسرى وعذابات المعتقلين، وذاق المرّ من ممارسات العدو وتجرع الهوان من سياسة الاحتلال، كان يدرك بعد أن قتل الحاخام الإسرائيلي المتطرف «ميخائيل مارك»، أنه سيمضي في دربه، وسيواصل طريقه، وسيكمل ما بدأه مقاومةً وقتالاً، ومواجهةً واستبسالاً، وسيستهدف آخرين من أعدائه، وسينال من الحاقدين منهم والمستوطنين فيهم، وأنه لن يسلم للعدو نفسه ليسجن ويعذب، ويضطهد ويقهر، وإن كان ذلك فلن يكون إلا جسداً لمقاومٍ صمدٍ، ورفاةً لبطلٍ صنيدي، وبقايا أشلاءٍ لرجلٍ أبى أن يخضع، ورفض أن يستسلم، بينما ستسبقه روحه إلى الجنة، وسيسري عقب ذكره بين أهله وشعبه، وستروى قصة صموده ورواية ثباته، ليخلد مع الشهداء، ويلحق بركب الأبطال الأطهار.

ذاك كان «محمد الفقيه»، مثال الفلسطيني المقاوم، المتمسك بحقه والرافض الخضوع لعدوه، مهما بلغت قوته وزادت عنجهيته، وتعاضمت قدراته، وقد كان يعرف ما يريد، ويدرك ما يقوم به مختاراً راضياً، مصمماً ماضياً، ليعلم العدو أن هذا الشعب مثاله، وهو منه واحدٌ وعنهم لا يختلف، ينفذ إرادتهم ويمضي على منهجهم، فإن سقط فإن غيره من بعده سيتابع، وسيحمل الراية في تتابع متصلٍ فلا تسقط، ولئلا تنهار المقاومة وتنتهي، فيظن العدو أنه بقوته انتصر، وبجبروته حقق ما يريد ونال ما تمنى، وأنه بما يملك من قوةٍ قادرٌ على إخضاع هذا الشعب وإسكات صوته وإخماد أنفاسه.

عليه، ويصرّون على الاعتماد على أنفسهم والركون إلى قدراتهم، وعدم اللّجوء إلى الله ربّهم، فلا يسألونه النّصر، ولا يطلبون منه الثّبات والصّمود، وتسديد الرّمي وإصابة الهدف.

قد نسمع أصواتاً تخطيء محمداً، وتصف ما قام به بالجنون والخبيل، وعدم العقل وغياب الحكمة، إذ كيف له أن يواجه ب صدره العاري وسلاحه البسيط وقدراته المحدودة، هذا الجيش الذي جاء كالوحش الضّاري، وفغر فاه كحيوانٍ مفترسٍ جائعٍ، يريد أن يفتك بضحيّته ويقتله، غير مبالٍ بقيم العسكر وأخلاقيّات الجيش، الذي لا يليق به أن يقاتل بعدديه فرداً، وأن يواجه بقوته شخصاً، وهو المعدّ لقتال الجيوش وخوض الحروب النّظامية، ولكنّه تضائل كقزحٍ أمام مقاومٍ شمع كعملاقٍ وصمد كجبل.

إنّها المقاومة الفلسطينيّة البطلة، وإنّها الخليل العنيدة، وإنّهم لرجال الأولى وأبطال الثّانية، الذين يصرّون على الحقّ ويثبتون في مواجهة العدو، فإنّ النّصر سيكون بإذن الله حليفهم، والغلبة وإن تأخّرت فستكون من صفّهم، فذاك هو سبيل المقاومين وسنة الأولين، من تمسّك بها وصل، ومن ثبت عليها انتصر.

فطوبى لك «محمد» ما قدّمت، وهنيئاً لك ما حقّقت، فإنّك اليوم لدينا مكيّنٌ عالي القدر والمقام، نحفظ اسمك، ونذكر فعلك، ونتأسّى بك ونقلد عملك، وإنّا على طريقك ماضون، ولعهديك حافظون، ولأمانتك راعون، ولوديكتك مخلصون، وسيقول من بعد الآتون، إنّنا على دربك سائرون، ولرايتك الخفّاقة حاملون، ولحقك الأبلج صائنون وعليه أمنيون.

قد نسمع أصواتاً تخطيء محمداً، وتصف ما قام به بالجنون والخبيل، وعدم العقل وغياب الحكمة، إذ كيف له أن يواجه ب صدره العاري وسلاحه البسيط وقدراته المحدودة، هذا الجيش الذي جاء كالوحش الضّاري، يريد أن يفتك بضحيّته ويقتله، غير مبالٍ بقيم العسكر وأخلاقيّات الجيش

فالغلبة للأقوى والأكثر عدداً، والفوز لمن يملك سلاحاً وعتاداً، وعنده جيشٌ وترسانة، ودولةٌ وقيادة، وإمداداتٌ واتصالاتٌ وآليات نقلٍ، بينما الخسارة من نصيب الأضعف قوّةً، والأقلّ عدداً، المحاصر في مكانه، الفقير في سلاحه، والمجرّد من العتاد، من الذين لا ناصر لهم ولا سند عندهم، ولا مدد ينجدهم ولا قوة تنقّذهم.

تلك هي حسبة من لا يؤمنون بأهدافهم، ولا يتقنون في حقّهم، ولا يؤمنون بقدراتهم، ولا يتمسّكون بثوابتهم، من الذين يضعفون في الأزمات، ويجبنون عند مواجهة الأعداء، ويتخلّون عند أول التحدّيات، ولا يعرفون مذاق التّضحية ولا طعم العطاء، ولا يحتسبون الأجر ولا يتطلّعون إلى المثوبة، ممّن يستعجلون النّصر، ويتعسفون النتائج وقطف الثّمار، وهي من قبل رؤية من لا يتقنون بالله ولا يتوكّلون



عولمة

وماذا يُفيدُ الوقوف
على عتبات الزمان..
نصنع حبل التمني
كلاما..
نطرزه من خيوط الضباب؟

وماذا جنى العاشقون
على صبرهم ،
غير أن زلزلوا..
وضاعت مراكبهم
ثم ضاعوا..؟

وماذا سيعني العبور
إلى لحظة قادمه..
إذا ظلت الخيل
ينهكها للصهيل الحنين
ولا كَرَّير كضها..
أوشهاب؟

نعيشُ على مشهد العابرين
نُناظر كل الذين مضوا
دون جدوى..
ويحدث أن..
تُغادرنا اللحظات
ويرقص فينا السراب ...

فأيُّ الحداثات نحن
وأيُّ القرون..
إذا كان كل الوجود لدينا
بلا أروقه..
وظلَّ الزمان بلا ساعةٍ
أودليل ..؟

نُكابِرُ أنا عشقنا
وأنا عبَرنا..
وأنا - الدهور - وقفنا..
ولم يخضع النبضُ منا
برغم الغياب ..



أ.د. فوزي أحمد عبد السلام
« أستاذ ديناميكا الفضاء، جامعة القاهرة »
f.a.abdelsalam@gmail.com

في العمق

الأيدولوجيا والسياسة انتحار أم ازدهار



مقدمة

الأمريكي «هارولد لاسويل» بأنها دراسة السلطة التي تحدد من يحصل على ماذا (المصادر المحدودة) متى وكيف، أي دراسة تقسيم الموارد - يشمل ذلك توزيع القوة والنفوذ- في المجتمع عن طريق السلطة (ديفيد إيستون)، وعرفها الشيوعيون بأنها دراسة العلاقات بين الطبقات، وعرفها الواقعيون بأنها فن الممكن أي دراسة وتغيير الواقع السياسي موضوعا وليس الخطأ الشائع وهو أن فن الممكن هو الخضوع للواقع السياسي وعدم تغييره بناء على حسابات القوة والمصلحة.

أما الأيدولوجيا Ideology فهي كلمة منحوتة من الكلمتين اللاتينيتين idea و ology وتعني علم الأفكار،

تعرف السياسة في لسان العرب [1] بأنها القيام على الشيء بما يصلحه. وفي الحديث: «كانت بنو إسرائيل تَسُوسُهُمُ الْأَنْبِيَاءُ، كُلُّمَا هَلَكَ نَبِيٌّ خَلَفَهُ نَبِيٌّ، وَإِنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي، وسيكون بعدي خُلفاء فيكثرون. قالوا : يا رسول الله فما تأمرنا ؟ قال: أوفوا بببيعة الأول فالأول، ثم أعطوهم حقهم، واسألوا الله الذي لكم، فإن الله سائلهم عما استرعاهم» [2]. وتعرف السياسة في الاصطلاح بأنها فن إدارة ورعاية شؤون الدولة الداخلية والخارجية عن طريق صنع قرارات ملزمة لكل المجتمع تتناول قيم مادية وربما معنوية أيضا، وتعرف إجرائيًا عند عالم الاجتماع

لتخفيف حدة الصّدام بما يضمن بقاء الوطن وازدهاره، لابد من الوصول إلى صيغ توافقية متوازنة بين المختلفين توفق بين المشاركة البراغماتية في عالم السياسة وبين المعتقدات الإيديولوجية. عبر انعقاد ورش عمل تتضمّن فرقاً موسعة من القواعد الشعبية لهذه الأحزاب.

بين المختلفين توفق بين المشاركة البراغماتية في عالم السياسة وبين المعتقدات الإيديولوجية، ولا تصاغ هذه المواثيق على عجل في يوم أو يومين بين ثلاثة أو أربعة من القادة من هذا الحزب وذاك وإنّما يجب أن تعقد ورش عمل تتضمّن فرقاً موسعة من القواعد الشعبية للجانبين، ليس لإقناعهم بقيمة وأهمية صياغة ميثاق توافقيّ فحسب وإنّما المشاركة في إيجاده أيضاً وربّما يمتدّ بعمر جيل بأكمله. ويصعب جدّاً - لكنه غير مستحيل - على أيّ حزب تشكّلت قوته المجتمعية من أيديولوجيا تمّ التّصريح بها في أدبيات كثيرة ومنشورة أن يصل إلى هذه الصّيغة. ومن ثمّ على الأحزاب الأيديولوجية أن تأخذ وقتاً كافياً لصياغة ميثاق عمل سياسي منفصل عن أيديولوجية رافعته المجتمعية وألا يصرح قاداته بل وأفراده بتمام أيديولوجيتهم في وسائل الإعلام في سيل جارف من التصريحات غير المحسوبة حساباً دقيقاً تؤمن معه العواقب الوخيمة، لأنّه لو صرّح أي فرد أيديولوجي بتمام أيديولوجيته وهو يريد الدّخول إلى معترك الحياة السياسية بكلّ تعقيداتها فلن يكون هذا

وفي الاصطلاح مجموع القيم والأخلاق والأهداف التي تسوق صاحبها إلى الاختيار بين البدائل، وبناء نماذج ذهنية لتأويل الواقع بكيفية تظهره دائماً مطابق لما يعتقد أنّه الحق. بالرّغم من أنّه لا توجد مطابقة تلقائيّة بين الواقعة وبين صورتها في ذهننا كما يقرّر «ماكس فيبر». ويظهر التناقض بين الفكر والواقع عند التأويل وفق قواعد غير متّفق عليها أو عند النّظر في أوجه المصالح والمفاسد ومن ثمّ التعصب للإيديولوجيا. بشكل مختصر الأيديولوجيا هي مجمل التّصورات والأفكار والمعتقدات وطرق التفكير^[3] التي تهدف إلى تفسير النّشاطات البشريّة داخل مجتمع ما. وفي عالم مركب ومعقّد تقي الأيديولوجيا بدور الطّبيب النفسي الذي يختزل تعقيدات المرض النّفسي في إيجاد حالة من الرّضا تقاوم الخوف والقلق من تتبّع الآراء المتباينة وصعوبة استنباط الحقيقة من العمليّات المركّبة والمرهقة للتّفكير وبذلك تشعر الأيديولوجيا صاحبها بامتلاك نموذجاً تفسيريّاً للحقيقة.

ممارسة الأيديولوجي للسياسة

يندر أن تجد سياسياً - وخصوصاً إذا كان حزبياً - أن يكون غير متّبِع لأيديولوجية معينة، سواء أكان هذا الحزب شيوعياً، أم إسلامياً، أم ليبرالياً أو أي شيء آخر. وبالتالي فعند دخول الأيديولوجي إلى عالم الممارسة السياسيّة فإنّه حتماً سيصطدم بسياسيين آخرين لهم أيديولوجيّات مختلفة، وقد يكون الاختلاف كبيراً وحاداً وساخناً مثل الذي نراه ونحياه في منطقتنا العربية الإسلامية وخصوصاً عند العلم بأنّ الإسلام دين له منظومة تشريعيّة تشمل كافّة مناحي الحياة، بخلاف ما نراه في الغرب من أحزاب شتّى من أقصى اليمين إلى أقصى اليسار إلّا إنّ قواعد السّلك والممارسة السياسيّة هي العلمانية بالأساس التي تصهر المختلفين في بوتقة واحدة. ولتخفيف حدة الصّدام بما يضمن بقاء الوطن وازدهاره، فلا بد من الوصول إلى صيغ توافقية متوازنة

فصل الأيديولوجي عن السياسي

قبل الخوض في هذه الجزئية يتعين الحديث مختصراً عن فصل الدّعوي الذي يختلط كثيراً بالأيديولوجيا عن الحزبي وعن السّياسي، ففارق كبير جدّاً مثلاً بين رواية أحداث التاريخ وبين تفسيرها، فالأولى تجيب عن تساؤل «ما الذي حدث؟» أما الثانية فتجيب عن تساؤل «لماذا أو كيف حدث؟»

ربما أكون مع فصل الأيديولوجيا عن السّياسي وبالتالي عن الدّين أصلاً، فالأيديولوجيا من وجهة نظري تعبد الطريق أمام معتنقيها للعلمانية، ولا شكّ أن كثيراً من المنتمين انتماء تنظيمياً حركياً للتّيارات الإسلاميّة قد أصابهم نصيب - حتى ولو كان صغيراً - ممّا أصاب الأمم السّابقة من قول الله عز وجل «إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مهتدون» [4] من اتباع التنظيم والمشايخ والدّعاة والمنظرين في كل تيار اتباع الأعمى وتغليب آرائهم على القواعد الشرعية ممّا جعل عمليّة المراجعات عسيرة جدّاً عندهم بل وضئيلة المحتوي. لكنّي لست أبداً مع فصل الدّعوي عن السّياسي بدعوى التّخصص الذي لا ينكره عاقل، فهل يعني فصل الدّعوي عن السّياسي أن تتّجه فئات إلى التّخصص في العمل الدّعوي بعيداً عن التّحدّث في الشّؤون العامّة دعماً أو نقداً؟، ثمّ تعزل مجموعة أخرى للتّخصص في السّياسية بحيث يكونون أحراراً في اختياراتهم وقراراتهم السّياسي بعيداً عن إطار جماعتهم وفكرتهم الأمّ. فليس للدّعوي ولا للسّياسي حريّة التّحدّث عن الرّبا مثلاً فهذا من الشّأن الاقتصادي إذا كان الدّاعية هو المتحدّث ومن الشّأن الدّعوي إذا كان السّياسي هو المتحدّث. إذا كان التّخصص سيفصل المتخصّصين إلى جزر معزولة بعضها عن بعض فهذه هي المصيبة الكبرى، خصوصاً وإنّ جزءاً كبيراً من العلوم الإنسانيّة مثل العلوم الشرعية كلّها وعلوم السياسة وعلم الاجتماع والتاريخ وغيرها

**ربما أكون مع فصل
الأيديولوجيا عن السّياسي
وبالتالي عن الدّين
أصلاً، فالأيديولوجيا من
وجهة نظري تعبد الطريق
أمام معتنقيها للعلمانية.
لكنّي لست أبداً مع فصل
الدّعوي عن السّياسي
بدعوى التّخصص الذي
لا ينكره عاقل.**

إلا بمثابة إعلان وثيقة الانتحار السّياسي. والمثال الحيّ على ذلك السّياسي الأمريكي عند مخاطبته للتّأخّبين الأمريكيّين في الولايات الجنوبية والغالب عليها حتى الآن سيطرة الرّجل الأبيض وعدم أخذ الأمريكيّين السّود لكافة حقوقهم، لا يتكلم في برنامج الانتخابي عن حقوق السّود والأقليات إلا شذراً ودون تفاصيل ويكون الكلام بالعموميات هو المخرج. أيضاً عند الخطبة في وسط جمهور من المتدينين فلن يكون الحديث عن قضايا بعينها مثل الإجهاض والمثلية الجنسيّة والحريّة غير المقيدة من أيّ وجه حديثاً مجدياً بل يكون ناسفاً للبرنامج وسط هؤلاء. المصلح الاجتماعي وحده هو الذي يناضل من أجل هذه القضايا وليس السّياسي وهذا من اختلاط الأدوار في مجتمعاتنا إذ يعدّ السّياسي نفسه مصلحاً اجتماعياً وليس مديراً فحسب للشّأن العام، ومن ثمّ يصدره الإعلام على أنه القائد الأعلى لكافة المجالس المتخصصة ويكون المعلم الأول والطبيب الأول والإعلامي الأول والمفكر الأوحد وفيلسوف الفلاسفة إلى آخر الأوصاف التي ربما لا يطلقونها على نبي مرسل.

أسوأ حال يدخل الإنسان فيها معاركه الأيديولوجية هي إحساسه بأن نشر أفكاره وتحقيقها رهينة بتدويرها في منظومة خصمه بحيث يعمد إلى إعادة صياغة أفكاره لتتوافق ومقاسات أفكار خصمه، وليس التوافق معه على شكل سلمي متوازن لإدارة الشأن العام

الأيديولوجيات أمرا ممكنا، لكني أظنه لا يأتي إلا بعد وجود عاملين هامّين جدًا أولهما وضع برنامج للحزب تخفف فيه الحمولة الأيديولوجية بحيث يصبح تنازل المختلفين عن رأي هنا أو عن رأي هناك بعيدا عن القواعد المؤسّسة للحزب أمرا سهلا وميسورا لأجل المحافظة على الوحدة، ثانيا نضج النّخب السياسية الفاعلة بالمجتمع بحيث يتكون لديها معرفة رصينة بالثوابت والتي لا يمكن النقاش حولها وبالمتغيرات والتي من الممكن التفاوض في ظروف تنفيذها. فالشيوعيون مثلا تنصدر الملكية العامة لوسائل الإنتاج قائمة أيديولوجيتهم، والإسلاميون يؤمنون بتحكيم شرع الله، والليبراليون يؤمنون بمذهب الحرية المطلقة فهل إذا وصل أحدهم لهرم السّلطة السياسية، هل سيتعامل مع دستور ينصّ فيه على أمور تخالف أيديولوجيته. أم أنّه سيسعى لتغيير هذا الدّستور وهذه الأخيرة ستجرّه حتما لاضطرابات تعمّ البلاد خصوصا إذا كانت نسبة التوافق ضعيفة أو كان توافقا شكليًا. المخرج من هذه الأزمة هو الصيغة المتوازنة التي يتوافق حولها أطراف اللعبة

كثير يعتبر أرضية مشتركة يقف عليها الجميع حتى المتخصّصين في حقل العلوم الطبيعية بل إنّي أقول أنّه في حال انعدام حظّ الإنسان من هذه العلوم ينعدم إبداعه في تخصّصه هو.

هل إذا عرض حزب ما برنامجا لحلّ مشكلة البطالة ببناء مصانع للخمر ومن ثم تشغيل الشباب العاطل أو برنامجا لمجابهة التّضخم عن طريق الصّناديق الرّبوية، إذا كان الدّستور لا يمنع ذلك حتى ولو تمّ النّص في بدايته أنّنا دولة عربيّة ودينها الإسلام، فهل نمنع أنفسنا من معارضته لكي لا يقال عنا أنّنا ندخل الدّيني أو الدّعوي في السّياسي ولاحترامنا الدّستور الذي لا يمنع ذلك بشكل صريح. ورغم أنّ هذه مسألة حدّية فليس هناك اختلاف في تحريم وتجريم إنتاج وتوزيع وبيع وشرب الخمر فقد حرمت في الخمر عشرا، لكن في زمن العزّة والقوة نجد الشّعب لا يتردّد لحظة في تقويم حاكمه في مسألة ربما كانت من المتشابهات بل ودعوته إلى الرّجوع للحقّ فما كانوا يفرّقون بين السّياسي والدّعوي. هل إذا صدر عن المجلس التّشريعي قانون يقضي بأنّه إذا تراضى الزّانيان على الزنا فلا عقوبة إذ لا يوجد حقّ للمجتمع عندئذ فلن يصدر تعليق من السّياسي ولا من الدّاعية لأنّه من الحرّيات الشّخصية، ورغم أنّ هذا أصلا يعدّ عمليّة قتل حقيقي لحرية التفكير والنّقد.

عود لفصل الأيديولوجي عن السّياسي

الأفكار لا تموت وإنّما يعاد تشكيلها وتلاقحها مع أفكار أخرى للمختلفين، وذلك من أجل الملاءمة السّياسية، وأسوأ حال يدخل الإنسان فيها معاركه الأيديولوجية هي إحساسه بأن نشر أفكاره وتحقيقها رهينة بتدويرها في منظومة خصمه بحيث يعمد إلى إعادة صياغة أفكاره لتتوافق ومقاسات أفكار خصمه، وليس التّوافق معه على شكل سلمي متوازن لإدارة الشأن العام. من هذا المنطلق تكون صياغة ميثاق عمل سياسي منفصل عن

لابدّ من تربية جيل من السياسيين قادرين على إدارة الخلاف الفعال في كلّ القضايا، خصوصاً أنّ ممارسة السياسة في ظلّ وجود أيديولوجيّات مختلفة هي حالة صراعية بامتياز وهي ليست انتصارات على طول الطريق.

السياسية والتي في نفس الوقت تضمن بقاء متوازن لهؤلاء الأطراف وعدم تشظيهم إلى كيانات مجهرية تعصف بالبلد بكامله.

لابدّ من تربية جيل من السياسيين قادرين على إدارة الخلاف الفعال في كلّ القضايا، خصوصاً أنّ ممارسة السياسة في ظلّ وجود أيديولوجيّات مختلفة هي حالة صراعية بامتياز وهي ليست انتصارات على طول الطريق بل يجب على السياسي، إن بدت الخسارة أمامه، أن يتعلّم كيف يخسر الجولة دون خسارة المبدأ، خسارة مؤقتة وتكتيكية تجنّباً للانكسار، مثلما سلم المارشال الروسي موسكو محروقة لغريمه نابليون، هُزمت موسكو في البداية، وانكسر نابليون في النهاية لأنّه لم يستطع أن يطعم جيشه في المدينة المحترقة. السياسي يعلم متى يصرح ومتى يلمح، على أنّ جلّ تصريحات السياسيين تكون عادة بالعموميات ومن هنا قيل: السياسي إذا قال «نعم» فإنّه يقصد ربّما وإذا قال «ربّما» فإنّه يقصد «لا»

وإذا وقال «لا» فإنّه ليس سياسي. ولذا فلا بدّ من إدارة الصّراع داخل الإطار الفكري فقط بعيداً عن العنف ما أمكن، فلا يزال المرء في فسحة من دينه ما لم يصب دماً حراماً كما جاء في الحديث^[5]، وينبغي تغليب مصلحة الوطن على المصالح الحزبية الضيقة. ولا أدلّ على ذلك من الذي حدث في صلح الحديبية عندما قال سهيل بن عمرو «لو علمنا أنك رسول الله ما حاربناك»، اكتب هذا ما تقاضى عليه محمد بن عبد الله، أتأف من نسبك يا محمد؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أنا رسول الله وإن لم تقرّوا، ثم قال: امح يا علي! واكتب: محمد بن عبد الله. بل ومحا بسم الله الرحمن الرحيم وكتب بدلاً منها بالاتفاق باسمك اللهم. وهنا ظهر حرص رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على تعظيم حرّيات الله، وترك القتال في الحرم، وحقن الدماء أن تسفك في الشّهر الحرام، فأعلن استعدادَه للتّفاوض مع قريش، والموافقة في سبيل ذلك إلى أبعد الحدود، فقال صلى الله عليه وسلم: «والذي نفسي بيده، لا يسألوني خطّة يعظمون فيها حرّيات الله إلّا أعطيتهم إياها»^[6].

الهوامش

- [1] أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (ابن منظور) «لسان العرب» دار صادر، 2003م.
- [2] حديث أبي هريرة رضي الله عنه عند البخاري ومسلم.
- [3] معجم العلوم الاجتماعية والفلسفية، نيويورك 1944م، ص 149
- [4] القرآن الكريم - سورة الزخرف - الآية 22.
- [5] أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي الصَّحِيحِ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي هَاشِمٍ، عَنْ إِسْحَاقَ.
- [6] كتاب الشروط باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحروب وكتابة الشروط 178/3.

حتى لا ننسى

9 أوت 1945

المجوم النووي على ناغاساكي
«وصمة عار في جبين الامريكان»





د. نبيل غربال
«أستاذ بكلية العلوم صفاقس»
ghorbel_nabil@yahoo.fr

السماوات والأرض (2)



صاعدة ونازلة وما يظهره وجهها من تضاريس. وقد توصلوا إلى أن تلك الديناميكية الباطنية تفسر الأحداث الجيولوجية التي تظهر على السطح مثل الزلازل وحركة الكتل القارية والبراكين والجبال وغيرها.

عندما نقرأ الآيات الأربعة موضوع المقال نلاحظ أن في الآية العاشرة إشارة إلى الجبال وهي إشارة تجعل في اعتقادي من المقاربة العلمية لأيام الخلق الست ممكنة إضافة إلى إشارات أخرى سنذكرها في وقتها. ففي اليومين الثالث والرابع خلقت الجبال وبارك فيها الله وعطف سبحانه على كل ذلك تقدير الأرزاق لأن العلاقة بين الجبال وأرزاق الكائنات

يقول الله تعالى في كتابه العزيز: «قُلْ أَنْتُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا ۚ ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ (*) وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِي مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلنَّاسِ لِيْنِ (*) ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ (*) فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا ۚ وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ۚ ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ» (1)

يعتمد العلماء على نظرية تكتونية الصفائح لفهم وتفسير الأرض ماضيا وحاضرا ومستقبلا من خلال رصد ما يعمل بداخلها من تيارات حرارية

**تعمل عوامل التحات والتّرية
وخاصّة الماء بالإضافة إلى
عاملَي الحرارة والريّح على
تفتيت الصّخور النّارية بالنّسبة
للجبال البركانيّة الأولى التي
تشكّلت ثمّ تتكفّل مياه
الأنهار والوديان إلى إيصال
المواد المفتّنة إلى أحواض
البحار والمحيطات أين تترسب
وتصبح صخورا رسوبيّة.**

ما يلقي مزيدا من الضّوء على ربط الجبال بالبركة
والأرزاق في الآية العاشرة.

التّنوع المعدني يتدعم

أدى تعاقب الانصهار الجزئي والتّصلب لقشرة
الأرض وبتفاعل مع عوامل التّجوية مع المحيطات
والغلاف الجوّي إلى ازدياد التّنوع المعدني. بدا ذلك
قبل 4.4 مليار سنة أي بعد حدث الاصطدام الكوني
الرّهيب بين الأرض البدائيّة وكوكب «ثيا» الذي
جرى قبل 4.5 مليار سنة حيث قذف الاصطدام كمّيّة
كافية من المواد المتبحّرة في مدار حول الأرض
لتتجمّع بفعل الثّقالة وتعطي القمر.

كانت الأرض بلا حياة، وتواصل خلال الملياري
سنة التي تلت نشأة القمر تعاقب الانصهار والتّصلب
مولدا ما يقارب 1500 معدن. بدأت قبل ملياري سنة
من الآن نسبة الأكسجين في الغلاف الجوّي للأرض

التي ستوجد لاحقا حسب تقديره جُلّ شأنه علاقة
مباشرة كما سنرى لاحقا. لن نقف عند آليّة انتصاب
الجبال حسب نظريّة تكتونيّة الصّفائح بل ما يهمّنا
في أهمّ تضاريس الأرض أي الجبال هو مساهمتها
الفعّالة في تولّد المعادن وتنوّعها.

فعندما ترتفع الجبال تعمل عوامل التحات والتّرية
وخاصّة الماء بالإضافة إلى عاملَي الحرارة والريّح
على تفتيت الصّخور النّارية بالنّسبة للجبال البركانيّة
الأولى التي تشكّلت ثمّ تتكفّل مياه الأنهار والوديان
إلى إيصال المواد المفتّنة إلى أحواض البحار
والمحيطات أين تترسب وتصبح صخورا رسوبيّة
بعد ملايين السنين. ومع الزّمن تصبح الصّخور
الرّسوبية نفسها مادّة السّلاسل الجبلية التي ستكون
باصطدام الكتل القاريّة وستكون عرضة لنفس الآليّة
مما يؤدّي إلى بروز معادن جديدة وهكذا إلى أن
تظهر الحياة التي ستقوم بدورها في تنوع المعادن
الأرضية. ولا يمكن ألاّ نسجل معطى هاما يتعلق
بالمنظومة «أرض-جبال» إذ يقول تعالى «وَجَعَلْنَا
فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ»⁽²⁾ و«وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ
رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ»⁽³⁾ ممّا يعني أنّه لم يكن فيها
من قبل جبالا. فمادّة جعل في اللّغة تشير إلى الصّنع
والصّيرورة ولكنّها أعمّ فنقول مثلا جعل الطّين خزفا
أي صيّره.

يصرح القرآن إذا بأنّ الجبال رواسي وهذا
موضوع سنعود إليه في مناسبة أخرى إن شاء الله
ويصرّح أيضا وهذا الذي يعنينا في هذا المقال بأنّها
لم تكن موجودة ثمّ جعلت لاحقا وهي حقائق علميّة
ثابته في يومنا هذا. ويمثّل وجودها تدشينا لمرحلة
أرضيّة جديدة ستكثر فيها المعادن بأعداد كبيرة وهو

يوجّهنا لتحديد تلك المراحل هو مفهوم «المعدن» أي الوحدة الأساسية التي تتكون منها صخور الأرض. لماذا؟

لقد خلق الله الأرض لاستقبال آدم وذريته لتعميرها من ناحية وجعلها منصّة للانطلاق إلى السماء من ناحية ثانية بحكم أنها مسخرة له مثل الأرض كما تقول صراحة العديد من الآيات مثل «وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ» (4). تتميز الأرض الحاضنة للبشر عن بقية الكواكب التي تنتمي للمجموعة الشمسية (أجرام تدور حول الشمس) بأنها الوحيدة التي يوجد فيها الماء في حالاته الفيزيائية الثلاثة أي صلبا وسائلًا وغازا بفضل موقعها من الشمس أولا وهو ما يمكنها من استقبال كمية محدّدة من الطّاقة ملائمة لكلّ مظاهر الحياة وأشكالها وبفضل كتلتها ثانيا والتي تجعلها قادرة على الاحتفاظ بغلاف غازي حولها يوفّر الضّغط الملائم لتواجد الماء في الحالات التي ذكرنا أنفا. يقول الله في الآية العاشرة أنّه بارك في الأرض أي جعل فيها الخير والبركة والنّماء وقدّر أقواتها أي حدّد كمّا وكيفا أرزاق الكائنات التي ستستقبلها من نبات وحيوان وبشر. فما علاقة ذلك بالمعادن أي بمكونات الصّخور وما علاقة الصّخور بالماء؟ الإجابة عن السّؤال أصبحت بديهية في زمننا الحاضر.

تمثل الصخور الأرضية عنصرا أساسيا لما اصطلح على تسميته بـ«السلسلة الغذائية». تغذّت الكائنات البدائية وحيدة الخلايا بالطّاقة الكيميائية من الصّخور وذلك قبل ما يقارب الأربعة مليار سنة. والآن يعيش النبات على معادن الصّخور أيضا وتتغذى الحيوانات من النبات ويحتلّ الإنسان

يمكن اعتبار مفهوم «المعدن» أي الوحدة الأساسية التي تتكون منها صخور الأرض «المفهوم المرشد» الذي نلتزم به كموجّه في محاولة تفاعلنا العلمي مع الآيات الأربع من سورة فصلت بعلاقة بمراحل الخلق.

تكبر بفضل الكائنات الحيّة القادرة على التّركيب الضوئي أي تحويل طاقة الشمس إلى طاقة كيميائية. نتج عن ارتفاع الأكسجين في الجو تغير دوره الكيميائي وشهدت الأرض نتيجة لذلك ظاهرة ما يسمى بـ«الأكسدة العظيمة» التي مكّنت من ظهور حوالي 2500 معدن جديد.

«المعدن» كمفهوم مرشد

بعد عرض أهم الأحداث التي مرّت بها الأرض وليس كلّها سنطرح سؤالا منهجيا وسنعتد الإجابة عليه لمقاربة تفسيرية علمية للآيات الأربعة من سورة فصلت وهو التالي: هل هناك في تلك الآيات مفهوما يمكن أن يرشدنا إلى المراحل الست التي تشير إليها؟ أي هل يمكن أن نستنتج من الآيات مفهوما نلتزم به كموجّه في محاولة تفاعلنا العلمي معها بعلاقة بمراحل الخلق؟ إني اعتقد أنّ الإجابة بنعم وأنّ المفهوم المرشد والذي من المحتمل أن

**يفسّر الكمّ الكبير
من المعادن على الأرض
بوجود الماء. لذلك
ونظرا لانعدامه في
عطارذ وقمر الأرض،
فإنّ عدد المعادن المكوّن
لصخورهما محدود،
إذ يقدر المختصون أنّ
عددها لا يزيد عن 300.**

عن الأجرام السماوية المرتبطة جذبويًا بنجم الشمس
فقرا معدنيًا واضحًا قياسًا بالآلاف المعادن المعروفة
في الأرض ممّا يعطي لمفهوم «البركة» بعدا ماديًا
لملوسا. إنّ وجود حوالي 4400 معدن في الأرض
وبضعة مئات أو أقل من ذلك في الكواكب الأخرى
أليس مباركة في الأرض خاصة إذا علمنا بأنّ قاعدة
السلسلة الغذائية للكائنات وعلى رأسها البشر هي
معدن الصّخور؟ ألا يدعو ذلك إلى التدبر ومزيذا
من التدبر؟

الهوامش

- (1) سورة فصلّت - من الآية 9 إلى الآية 12
- (2) سورة المرسلات - الآية 27
- (3) سورة الأنبياء - الآية 31
- (4) سورة الجاثية - الآية 13

(يتبع)

موقعًا متميِّزا في السلسلة حيث يمتّعه الله بها
جميعًا. فالإنسان مثله مثل الكائنات الأخرى يعتمد
في غذائه على مواد تعود كلّها إلى معادن الأرض
بتدخّل عنصريّ الماء والطّاقة الشمسية. ليس الهدف
من المقال التعمق في استكشاف التّكامل والتّوازن
بين مكونات السلسلة الغذائيّة والعوامل الفيزيائيّة
والمناخيّة التي قدر تفاصيلها الخالق جلّ شأنه لإنجاز
ما تعلّقت به إرادته تعالى، بل استكشاف العلاقة بين
البركة التي فسّرت من قبل باعتبارها الخير المرتبط
بما خلق في الأرض من المنافع للعباد وبقية الكائنات
و«البركة» التي سنربطها في المقال بالتنوع المعدني
في الأرض وهو ربط تسمع به اللّغة طبعًا باعتبار أنّ
من معاني البركة الكثرة. سنعتمد إذن المفهوم العلمي
للمعدن كموجّه لتحديد أيّام الخلق الستّ وهو اجتهد
نسبيّ من طرفنا لا يلزم غيرنا يربط المفتوح على ما
شاء الله من الحقائق أي القرآن الحكيم وما يتوصّل
إليه العقل البشري من حقائق.

«البركة»

يفسّر الكمّ الكبير من المعادن على الأرض بوجود
الماء. لذلك ونظرا لانعدامه في عطارذ وقمر الأرض
فإنّ عدد المعادن المكوّن لصخورهما محدود، إذ يقدر
المختصون أنّ عددها لا يزيد عن 300. لقد تجمّد
الماء فيهما في المراحل المبكّرة لنشأتها ولم يحدث
انصهار مهمّ فيهما حتّى يعطي معادن جديدة من ناحية
ولم تتوفر العوامل اللازمة لتكون الأحجار الرّسوبية
من ناحية أخرى. كذلك الشّأن بالنسبة لكوكب المريخ
إلاّ أنّ هذا الأخير يظهر أنواعا من المعادن مثل
الطين والتّخريبات ممّا يشيء بوجود كمّيات مهمّة
من الماء السائل في الماضي. ويقدر العلماء أنّ هناك
حوالي 500 معدن مختلف. تبين المعطيات المتوفّرة



بدير محمد
«باحث في الدكتوراه تخصص سينوغرافيا
فنون العرض بكلية الآداب واللغات والفنون»
جامعة سيدي بلعباس - الجزائر
aminamino22@hotmail.fr

الإنثروبولوجيا الثقافية بين فلسفة الفن وجددية الصورة البصرية



في ضوء القيم الجمالية للفن؟ وكيف نميّز بين العالم
الإنثوغرافي وعالم الإنثروبولوجيا المرئية؟ وعن
الثقافة في بنية الوعي الجمالي في المجتمعات القديمة؟

الاصطلاح المفاهيمي:

تعدّ الانثروبولوجيا الثقافية التراث المسيطر في
الإنثروبولوجيات في الولايات المتحدة الأمريكية
حيث تشمل كلاً من الاثنولوجيا أو التحليل المقارن
والتاريخي للثقافات. ولمصطلح الإنثروبولوجيا
معنيان: معنى واسع وآخر محدود فهي بالمعنى
الواسع تتضمن علم الآثار ماقبل التاريخ وعلم
اللغة الإنثروبولوجي بالإضافة الى دراسة المقارنة
للثقافات والمجتمعات الانسانية⁽¹⁾.

مقدمة

لعل أبرز ما يتوافق مع هذا الفكر أو الموروث
الثقافي هو الحفاظ عليه وإسناده الى تعبيرات
تقييمية أتت أكلها إلى حضارة العصر وأصبحت
تسمّى بالثقافة الانثروبولوجية لدى الإنسان الأزلي
وتشخيص الصورة النمطية له حتى أصبحت تجسّد
هذه الحضارة في شكل عمل مرئي يضاف الى
المكتسب العلمي الثقافي عبر أجيال تراوح بينهما
العقل في تفسير المعتقد والاجتهاد لمعرفة الهوية في
ظلّ ما سمّي بعلم الإنسان. ففي هذا الصدد يمكننا
طرح التساؤل الآتي: كيف ندرك الجماليات البصرية

يضيف مفهوم الهوية الثقافية التباساً آخر إلى صلة الخصوصية بالكونية حين تجري الدعوة إلى الانفلاق على الماضي ورفض التجديد من الناحية الموضوعية للإنسان وثقافته القديمة عبر المعتقد الديني والحفاظ على سيرورة العمل المبدع الذي أبدعه عالم الإنسان بطريقته الخاصة.

الاثنوغرافيا وتشخيص لمصطلح الهوية:

يضيف مفهوم الهوية الثقافية التباساً آخر إلى صلة الخصوصية بالكونية حين تجري الدعوة إلى الانفلاق على الماضي ورفض التجديد من الناحية الموضوعية للإنسان وثقافته القديمة عبر المعتقد الديني والحفاظ على سيرورة العمل المبدع الذي أبدعه عالم الإنسان بطريقته الخاصة. المزيد من التغيير سوف يؤدي في النهاية إلى نسيان الماضي وتراثنا والقضاء على أصالتنا وخصوصيتنا وهويتنا الثقافية المتوارثة عبر الأجيال. والخلاصة هنا أن المجتمع هو جامع الأفراد وأن الثقافة هي كيان السلوك المكتسب لهؤلاء الأفراد جيلاً بعد جيل حسب الهوية وثقافة المجتمع .

الإنثروبولوجيا المرئية

وتشخيص لصورة العالم الحضري:

اتّجه مزيد من الاهتمام الى الاختبار ما اذا كانت تلك الوسائل تنقل رسائل ضمنية بشأن الموضوع

القيم الجمالية المادية للفن من خلال المكسب الثقافي الموروث.

يعتبر «ارنولد» أن الثقافة هي دراسة الكمال والتي من شأنها أن تقود الى كمال متناسق بتطويرها لكل جوانب إنسانيتها ثم الى كمال عام بتطويرها لكل أجزاء المجتمع⁽²⁾. إن الحاجة لشرح تفضيلات الأفراد ومدرعاتهم تستدعي أسلوب التفسير الوظيفي Functional mode of explanation أي الطريقة التي تعتبر آثار سلوك ما أو ترتيب اجتماعي مع عناصر أساسية لأسباب هذا السلوك⁽³⁾، طالما أن الإنسان قد يكون مبدعاً أي منتجاً للفنون أو قد يكون متلقياً لها على اعتبار أنه يفقد الى الموهبة أو الى القدرات المنتجة لها⁽⁴⁾.

الانثروبولوجيا الثقافية بين مبدأ الرمزية

(دلالة المقدس الديني) والاثنوغرافيا الوصفية

يرى «هيفل» أن الرمز THE SYMBLE يمثل بداية الفن من الناحية التاريخية ومن الناحية الفكرية⁽⁵⁾، فالرموز في عهد السلف هي عبارة عن شيء مقدس روحاني مما سهل على الإنسان أن ينجر لما هو طبيعي بدلالات الفن المختلف، فيشكل مقدس التفضيل جمالي لما هو بين يديه كرموز العالم الحيواني وتتمثل في حيوان الحصان كرمز شمسي ثم رمز جهنمي ثم رمز الموت والجنس،،، ثم رمزية الجنس البشري كالإنسان المتوحش، رمزية الرقصات المأتمية، رمزية حواس الإنسان.

وفي مثال على ذلك يعدّ نصف القمر في أوروبا رمزية جنائزية، وفي الهند يشكل جزءاً من الفضاء المقدس للمعابد البوذية التي يوجد في مدخلها على الأرض وله رمزية كونية مع تزيينات منحوتة متداخلة متضمنة في مركزها زهرة اللوتس البدئية⁽⁶⁾.

على الانثروبولوجيا بما فيها الثقافة المتردية للإنسان المبدع.

الخاتمة

إن تذوق الإنسان الفني لمختلف الفنون يعتمد على معيار جمالي صنعه مفهوم الذاتي نتيجة مشاهداته للجماعات البشرية وصراعه مع الحضارات الأزلية والعوامل الطبيعية، وتخيّله الرّموز التي عبّر عنها. وإذا كانت هذه الآثار الموجودة على جدران الكهوف وغيرها قد قام بإبداعها لأهداف عملية وأهداف نفعية فإن هدفها أيضا تصوير فكرة أو تخليد رؤية أو تجسيد خيال أو أي تعابير أمنية هذا ما استحسنه البعض حول المفهوم العام للانثروبولوجيا ولا سيما منها العنصر الثقافي الذي استأصل المبادئ الكاملة لتأريخ الفن الحضاري القائم على التجانسية ولتبقى الصورة كيان رمزي يصور لنا الماهية والنشأة لتلك الشعوب وفق معيار فني معين.

الهوامش

- (1) الإنثروبولوجيا الثقافية لأفريقيا، سعاد علي شعبان.
- (2) هارلمبس وهولبورن، سوشيولوجيا الثقافة والهوية، تر: حاتم حميد محسن.
- (3) مجموعة من الكتاب، نظرية الثقافة، تر: علي السيد الصاوي.
- (4) الفنون في حياتنا، بشير خلف.
- (5) رمضان باسطاويسي، جماليات الفنون وفلسفة تاريخ الفن عند هيقور.
- (6) فيليب سبيرنج، الرموز في الفن_الأديان_الحياة.
- (7) عبد الله ثاني قدور، سيميائية الصورة.

إن تذوق الإنسان الفني لمختلف الفنون يعتمد على معيار جمالي صنعه مفهوم الذاتي نتيجة مشاهداته للجماعات البشرية وصراعه مع الحضارات الأزلية والعوامل الطبيعية، وتخيّله الرّموز التي عبّر عنها.

الذي تصوّره وذلك في شكل صورة مرئية بصرية حملت بصمة فنية وذلك بما يسمى بالفيلم الإثنوغرافي (الوثائقي) الذي يجسد لنا القيمة الفنية التي نحن بصدد معرفة التاريخ القديم وما آله إليه الحضارات السالفة.

رمزية العالم الحضاري

ارتبطت الصورة على الدوام عبر القرون بالحضارة. وعلى العموم يدين تصوّر الإنسان الحديث عن بابل واليونان القديمة، أو العصر الوسيط إلى البصر أي إلى الصورة عوض القراءة⁽⁷⁾، تجلّى ذلك في نوع الموروث الثقافي والايولوجيا الحضارية لتلك الشعوب، من حيث النشأة والتطور وما تعنيه هاته اللغة البصرية، لغة الصورة في تشخيص الفكر التأويلي وإن كان يبدو وعلى حدّ سواء ما تجسّده في ابراز فنّ من فنون العالم الحضاري وتجسيدها لمكانة ذلك التطور الزماني والمكاني لحضارات لازمة تلك الفترة عبر سنين من الموروث الجمالي وحفاظ

حتى لا ننسى

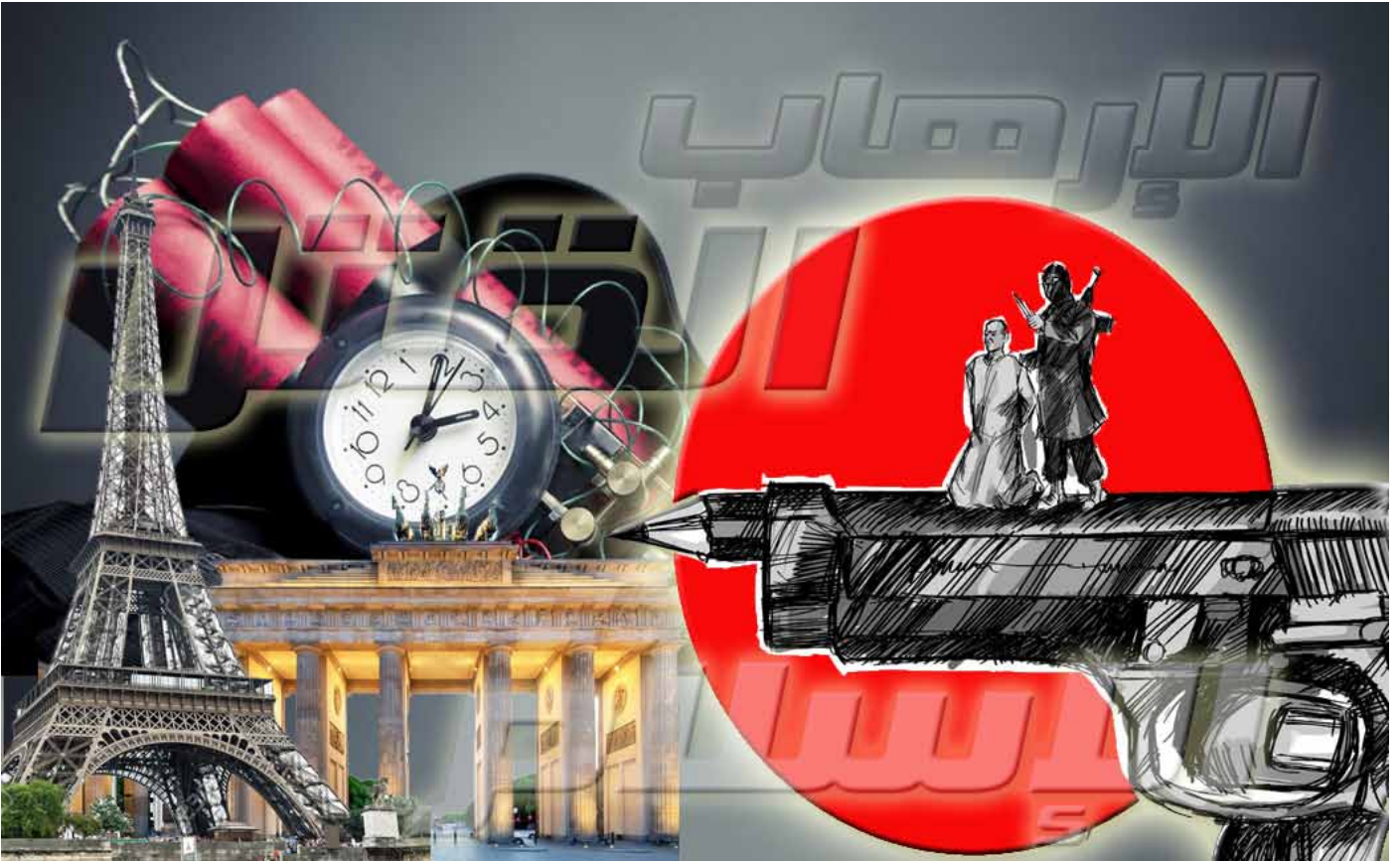
12 أوت 1972

«تل الزعتر» المذبحة

أيها اللسيان: إنك تليق بكلّ الأسماك...
ولكنك لن تكون تلّ الزعتر؟



ماذا نريد لأنفسنا و ما الذي يريدونه منا؟



منفذيها أو أظهرنا الشماتة خاصة في بلدان أوروبية بعينها؟ وهل يفيد هذا حقًا المسلمين في أوروبا؟ وهل هكذا تكون الدعوة للإسلام؟».

مع هذا الكم من التساؤلات التي تخطر ببالنا بعد كل عملية إرهابية وإجرامية، هناك خلف هذه العمليات الكثير من الاستنتاجات والقراءات أهمها أن المسلمين وخاصة في أوروبا لن يستفيدوا قطعاً من هذه العمليات الإجرامية إلا بمزيد من التضيق والحصار والعنصرية والكراهية والتحريض على الإسلام والمسلمين إضافة إلى انتشار ظاهرة «الإسلاموفوبيا» لدى بعض وسائل

في ظل الأوضاع العالمية الرّاهنة وانتشار آفة القتل والترويع والإرهاب في كل مكان وخاصة ما تميّزت به الفترة الأخيرة من اجتياح لهذه الآفة للدول الأوروبية وتحديدا فرنسا وألمانيا، يحقّ لنا أن نتساءل: «ماذا يحصل في هذا العالم؟ وهل فعلاً ثمة فيه دور للإسلام والمسلمين؟ وهل يمكن أن نعتبر ما يحدث ردّاً على جرائم الاستعمار سواء في الماضي أو في الوقت الحالي؟».

تساؤل يجرّنا إلى تساؤل آخر: «ماذا نريد لأنفسنا نحن المسلمون إذا ما قمنا بهذه الأعمال أو تعاطفنا مع

بعد كلّ عملية إرهابية نلاحظ التركيز على أصول المجرم لبدء التحريض على كل المهاجرين والعرب والتذكير بأنهم همجيّون وبأن دينهم يدعو للعنف وينسون بأن الفاعل شخص واحد مقابل ملايين المسلمين في أوروبا وفي العالم الذين يقفون ضدّ هذا الفعل الإجرامي ويندّدون به.

همجيّون وبأنّ دينهم يدعو للعنف وينسون بأنّ الفاعل شخص واحد مقابل ملايين المسلمين في أوروبا وفي العالم الذين يقفون ضدّ هذا الفعل الإجرامي ويندّدون به.

لا يذكر الإعلام الغربي ومن يقف وراءه بأنّ هذا المجرم الإرهابي قد تربّى في مجتمع غربي ونشأ في مدارس ويتناسى بعض الأوروبيين مجازرهم وتاريخهم الإستعماري وبأنّ ما حصل هو مجرد ردّة فعل على ما حصل في الماضي وعلى ما يحصل إلى يومنا هذا.

إنّ الحلّ هو معالجة المشكل من جذوره و الاعتراف بخلل في تعامل الغرب مع المسلمين مع الإقرار بوجود متطرّفين مسلمين ككل الديانات والتّوجهات الفكرية الذين يجب مواجعتهم فكريا ومواجهتهم بالآيات والدليل من ديننا الذي يدعو إلى المحاجة والدّعوة إلى الإسلام بالحكمة والموعظة الحسنة مع ردّ الظلم والاعتداء على المسلمين وهذا هو التوازن المفقود في فهم هذا الشّباب لدينهم.

الإعلام الأوروبيّة والجماعات المتطرّفة كالتّازيين الجدد في ألمانيا أو اليمين المتطرّف في فرنسا ودول أوروبية أخرى.

وإذا عرفنا أنّ الإسلام من أكثر الأديان إنتشارا في العالم وفي أوروبا على وجه الخصوص حسب عديد الإحصائيات، فهذا يخيف هذه الجماعات المتطرّفة ويزيد في خشيتها من أن تتحوّل دول أوروبا إلى بلدان إسلامية. وللأسف تأتي هذه العمليات الإجرامية خدمة لهؤلاء المتطرّفين الأوروبيين وهكذا يلتقي المتطرّفون من كلّ جانب على هدف واحد رغم اختلاف الأفكار والأساليب

وما يلاحظه العديد أنّ العمليات الإرهابية في البلدان الغربية تحظى باهتمام كبير من وسائل الإعلام تغطية وتحليلا أكثر ممّا يحصل في عالمنا العربي من قتل وإرهاب لا يقلّ دموية. وقد يعود هذا إلى طبيعة العمل الصحفي الذي يركّز على الحدث الذي لا يحصل دائما بحثا عن السبق الصحفي فالأحداث الإرهابية في مدن أوروبا تحدث بصفة فجائية وتكون متباعدة في الزمن على عكس الأعمال الإرهابية التي تحدث بوطننا العربي في كل يوم وكلّ ساعة فقد أصبحنا للأسف نرى القتل ودماء المسلمين تسيل يوميا وبكل برودة.

وربما يعود اهتمام وسائل الإعلام الغربية بالعمليات الإرهابية التي تحدث في الغرب إلى أنّ أغلب وسائل الإعلام مملوكة لرجال أعمال غربيين أو هي من تمويل غربي، وبالتالي فهي تتعامل مع الأحداث بانتقائية وهذا ما يدفعنا إلى التّساؤل عمّا يريدونه منّا.

فبعد كلّ عملية إرهابية نلاحظ التركيز على أصول المجرم بأنّه من أصل عربي ومن المهاجرين لبدء التحريض على كل المهاجرين والعرب والتذكير بأنهم



د. خالد بنات
«شاعر فلسطيني من المهجر/برلين»
kudus@drkhalidbanat.com

طيف المليحة

فتلح التعرف
ما أثير الهوى
وما للعشق تبقى ...
من أثر
تسألني
أعدوى رب كانت لها
تفتتها،
وتؤكد لها المنتظر
فأيقنت أنني رحم مشهد
يتيه الحجى بين ركام الصور
فتحققت ...
كم هو الوجد جامع
إن لم يرتقيني الهوى ...
لمحدر
أیسترجعني العقل
خال الهوى
فألجمه بكير
جواز النصر
فهمت،
بجمر فؤادي السعير
وطيف المليحة دفء النظر

ويسمينت أزهرت
بكر الصباح
تهامسني،
فيم ميل الحذر
كأني رھنت لها
على موعد
فقد أطاح بها
إحساس بطر
عبير المليحة
حوم وجهها
تراهن قلبي،
كي يستعر
هي الوقع بهير
رحلة الوله
لخافقها توحى
عشق السفر
تسامرني
ماذا يعني الجوى
برنين صوتها
مخملی الصور



أحبك يا دوحة خضراء في أفريقيا

أحبك

يا دوحة خضراء في أفريقيا

أحبك

حين ترقزق فوقك

عصفورة

قدسية

سحرية اللون تغني شادية

أحبك ، ، ،

وأحب فيك الغصن حين

يرقص ، ، متحدياً

فيعانق

- مثل الصبي أمه -

وجه السماء الصافيا

أحبك

يا دوحة خضراء في افريقيا

وأحب فيك الشعب حين

ينهض

متمردا كالساعد

يدفع

عنك النسور الغازيه

ويقيم حول جذعك

بدمائه وعظامه

سدا حصينا عاليا

أحبك

وأحبهم صبيانك

يتسلقون جذعك

كي يسقطوا الغربان من أوكارها

ويذبّحوا

ثم الفراخ الناميه

أحبك

يا دوحة قد ظللت أغصانها

أجدادي

أسقيك - حبا - من دمي

وعقيدتي

كي تورق أغصانك

بين اللهب الاحمر

بين الرياح العاتية.



الأمير عبد القادر الجزائري العالم المجاهد

بقيادة الأمير عبد القادر الجزائري الذي بوبع على الجهاد في رجب 1248 الموافق نوفمبر/تشرين الثاني 1832، وهكذا دخل الأمير مرحلة جديدة في حياته اتسمت بقيادته للمقاومة الشعبية وخوضه صراعات مريرة مع المستعمر الفرنسي استمرت خمسة عشر سنة حقق فيها نجاحات عديدة أرغمت الجيش الفرنسي على مفاوضاته وعقد اتفاقي هدنة معه في فيفري 1834م وماي 1837م اعترفت فيهما فرنسا بسلطته على منطقة الغرب الجزائري ومنطقة الشلف.

لكن تعمّد المستعمر انتهاج سياسة الأرض المحروقة والابادة الجماعية باستعمال أساليب وحشية في قتل الأطفال والنساء والشيوخ وحرق كلي للمدن والقرى المساندة للأمير عبد القادر عجلت باستسلامه في ديسمبر 1847 ليصبح أسيراً في سجون الاحتلال يعاني من الإهانة والتضييق إلى أن اعتلى نابليون الثالث كرسي الحكم بباريس عام (1268هـ = 1852م)، فأمر بإطلاق سراحه وأكرم نزل، ودعاه لكي يتخذ من فرنسا وطناً ثانياً له، ولكنه رفض، ورحل إلى سوريا عبر تركيا واستقر بمدينة دمشق بداية من 1855، حيث مارس التدريس.

اندمج بسرعة في المجتمع السوري وأصبح صديق الجميع من مسلمين ومسيحيين ممّا خوّله المساهمة في إخماد الفتنة الطائفية التي اندلعت سنة

هو عالم جليل ورجل سياسة ودولة، قاد مقاومة شعبية ضد الفرنسيين لمدة طويلة ولعب دوراً هاماً في إخماد الفتنة الطائفية وحماية المسيحيين في دمشق وهو في منفاه الاختياري. إنّه الأمير عبد القادر بن محيي الدين الجزائري.

ولد الأمير عبد القادر في 23 رجب 1222 هـ الموافق لـ 26 سبتمبر 1807 م، في قرية القيطنة بولاية وهران الجزائرية. نشأ في رحاب العلم فأجاد القراءة والكتابة وهو في سنّ الخامسة ونال الإجازة في تفسير القرآن الكريم والحديث النبوي وهو في الثانية عشرة من عمره. ثمّ انتقل إلى مدينة وهران، فتلقّى عن عدد من علمائها أصول العلوم، كالتاريخ والفلسفة والرياضيات والأدب العربي وعلم الفلك والطب وغير ذلك.

غلبت الصفة السياسية على الأمير عبد القادر الجزائري. فلا نكاد نجد في الكتب التي تورّخ للنهضة العربية ذكراً لهذا الأمير إلا وهو مرتبط بثورته ضد فرنسا، أو بوقوفه ضد الحرب الطائفية عام 1860، أو بتبيان علاقته بالدولة الفرنسية، أو زياراته المتعددة إلى الأستانة ومصر. ففي شهر محرم من عام 1246 الموافق 5 جويلية/تموز 1830م، تعرضت الجزائر لحملة عسكرية فرنسية شرسة مكّنت فرنسا من احتلال العاصمة الجزائر واستسلام الحاكم العثماني وبذلك انتهت المقاومة الرسمية لتبدأ المقاومة الشعبية

عرف عن الأمير عبد القادر أنه مدافع عن العقل وحقّ العقل في النظر إلى المسائل، ورفضه التقليد الأعمى للسلف الصالح، فلا يرضى بالسلف، إلا إذا أحاله إلى محكمة العقل. كما عرف عنه دفاعه عن البحث العلمي والتأمل الفلسفي.

وبين الأحكام التاريخية، فإنّه يبحث عن ذاك الذي يزيل الاختلاف بين المنتمين إلى الأديان المختلفة التي توجدها حقيقة واحدة.

والأمير عبد القادر مع حرية البحث العلمي والتأمل الفلسفي، يدافع عن المنطق والعلوم المكتسبة كما يدافع عن الإيمان عن طريق العقل ولهذا كانت النقطة الأبرز في خطابه هي العلاقة بين العقل والنقل التي دفعته للحديث عن العلاقة بين الأحكام الشرعية والتاريخ. فالأحكام بالنسبة له تتغير بتغير «الأعصر» والأزمان. أما الذي يُعيب من يقول بالنسخ فهو جاهل بتدبير الأحوال.

توفي الأمير ليلة 19 رجب 1300 هـ / 23 ماي 1883 عن عمر يناهز 76 عاماً، وقد دفن بجوار الشيخ ابن عربي بالصالحية بدمشق لوصية تركها. وبعد استقلال الجزائر نقل جثمانه إلى الجزائر عام 1965 ودفن في مقبرة العالية في مربع الشهداء الذي لا يدفن فيه إلا الشخصيات الوطنية الكبيرة.

1860 وذلك بحمايته لأكثر من 15 ألف مسيحي لجؤوا إلى منازلهم فاحتضنهم وكان هذا الموقف محلّ إشادة عالمية.

كان عبد القادر الجزائري - إلى جانب هذا كلّه - رجل فكر متبجّر في علوم الدنيا والدين. وقد كانت له آراء خاصة في قضايا العقل والأخلاق واللغة والتصوف، مما جعله جديراً بأن يُدرج في عداد رجالات النهضة المبكرين.

ألف الأمير عبد القادر عدّة كتب أهمّها «المقرض الحاد»، و«السيرة الذاتية»، و«ذكرى العاقل وتنبيه الغافل»، و«المواقف».

عرف عن الأمير عبد القادر أنّه مدافع عن العقل وحقّ العقل في النظر إلى المسائل، ورفضه التقليد الأعمى للسلف الصالح، فلا يرضى بأقوال السلف، إلا إذا أحاله إلى محكمة العقل. ودفاع الأمير عن العقل لهو دفاع عن الحرية في بعض جوانبها. والحرية إنما تقف موقفاً مناهضاً لكلّ أشكال التعصب القائمة على الاستمساك بالماضي بدعوى التقليد الأعمى. ولهذا ففي فكر الأمير نزعة تسامح نكاد نفتقدها في زمننا الحاضر.

ولأن فكرة العقل التي يدافع عنها الجزائري فكرة عامة ومشتركة بين الناس فإن للحقيقة طابعها الإنساني العام، حيث إن الحقيقة جهد البشر جميعاً، بمعزل عن انتماءاتهم الإثنية والقومية. لهذا لا يسأل الأمير عبد القادر عن مصدر الحقيقة، بل عن الحقيقة لذاتها. فهو يرى أنّ انتماءه إلى الإسلام لا يمنعه من اكتساب الحقائق ممّن هم على غير دينه وثقافته.

والحقيقة عامل توحيد بين البشر، رغم اختلافهم. وهذا ما ينزع عن الدين صفة التعصب التي هي أحد أسباب الانقسام الطائفي. ومن هذه الزاوية فإنّ الأمير، إذ يميّز بين الحقيقة الإلهية (كالتوحيد مثلاً)



بين مثقف وآخر



(2)

تجدر الإشارة هنا الى أن التحليل السياسي قد لا يكون مفيداً في مقاربة المحاولة الانقلابية الفاشلة بغض النظر عن كون البعد السياسي هو البعد الأبرز الذي جري التركيز عليه طيلة الأيام الأولى التي تلت الإنقلاب الفاشل.

قبل تركيا، حدث انقلاب آخر في مصر وكان ناجحاً وأشدّ دموياً، ولئن كانت المقارنة تبدو مجحفة بين نظامين أحدهما لم يعمر أكثر من سنة في حين دخل الآخر عقده الثاني، إلا أننا نستطيع أن نستخلص من الحديثين جملة من الاستنتاجات التي تساعدنا

(1)

هل كان الانقلاب في تركيا متوقعاً؟ وهل أصبحت تركيا في مأمن من انقلاب آخر قد يكون أشدّ دموياً؟

شخصياً كنت أتوقع أن تزداد محاولات تأزيم الأوضاع في تركيا بعد توالي التفجيرات والأحداث الإرهابية المتكررة ولعلني كنت على يقين بأنّ الخاتمة المرة سوف تكون انقلاباً يزلزل الأوضاع. وبالمثل فإنّ فشل المحاولة لا يعني عدم تكرارها في منطقة ملغومة يزداد فيها صراع الأضداد عنفا يوماً بعد يوم، ويزداد فيها حجم العنف وهدر الأرواح بشكل لم يسبق له مثيل.

**أليس حريّا بنا أن نتساءل عن
الفرق بين ثقافتنا شعبيّة
أحدهما يخرج ليضع رقبتنا
تحت حذاء الضابط والأخري يخرج
ليمنع الضباط من العبث
بالبلاد والعباد؟ هل العلة في
السّياسة والسّياسيات أم
العلّة في المثقّف الذي انحدر
إلى درجة الحيوان ونسي كل
ما تعلّمه وما بشر به من
قيم عليّة سامية؟**

(4)

أليس حريّا بنا أن نتساءل عن الفرق بين ثقافتنا شعبيّة أحدهما يخرج ليضع رقبتنا تحت حذاء الضابط والأخري يخرج ليمنع الضباط من العبث بالبلاد والعباد؟ هل العلة في السّياسة والسّياسيات أم العلة في المثقّف الذي انحدر إلى درجة الحيوان ونسي كل ما تعلّمه وما بشر به من قيم عليّة سامية؟ أم أنّ العلة فيما استطاع الاستبداد أن ينجزه على مدى عقود من ربط بين المثقّف ودوره وحركة المجتمع في ما يشبه النّماهي بين إرادة الاستبداد من خلال أجهزته وبين مثقّف لا يخرج عن دائرة المستبدّ خوفاً أو طمعاً؟ هل يتحدّد دور المثقّف بما للسلطة من إرادة أم بما للمثقّف من قدرة على التّغيير و من إرادة للدّفع بمجتمعه نحو الرّقي ؟

المفترض في المثقّف أن يكون الأحرص على إشاعة قيم العدل والحرية في المجتمع وأن يكون

على فهم ما حدث وما يمكن أن يحدث لاحقاً سلّماً أو إيجاباً حسب زاوية الرؤيا التي يتّخذها المحلّل منطلقاً للتّحليل.

(3)

يبدو العامل الثقافي هو العامل الأكثر أهميّة في تقديرنا ونحن نحاول قراءة حدث مزلزل سوف يكون له صدى بليغ في المدى القريب كما المدى البعيد. يخرج آلاف من النّاس وفيهم مثقّفون وكتاب وفنّانون وجامعيّون لا يؤلّف بينهم إلّا العداء لخصم إيديولوجي، ولا هدف لهم سوى إلغاؤه من الوجود والتّنكيل به رغم ما قد ينجر عن ذلك من خراب. لا يخرجون دفاعاً عن الديمقراطيّة وقيم الحداثة وتأكيداً على مبدأي المشاركة والتّداول السّلمي على السّلطة. ولا تأكيداً على حقّ الشّعب في تنمية عادلة وفي القضاء على تخلف تنموي وحضاري استمرّ عقوداً تحت وطأة حكم العسكر وإن بغلاف مدنيّ.

خرج هؤلاء في مشهد سينمائي يتقدّمون الصّفوف مطالبين الدّبابات باحتلال الشّوارع وقائد الجيش باحتلال مقعد الرّئيس الشّرعي وتعطيل الدّستور وإعلان الأحكام العرفيّة، ولم يألوا جهداً في المطالبة بسحق خصومهم سحقاً ونعتهم بأفدع النعوت.

خرج الآلاف في يوم واحد ليضعوا رقابهم ورقاب شعبهم تحت حذاء العسكر، ونتيجة لذلك دخلت البلاد في مآتم طويل بدأ بمجازر غير مسبوقه في تاريخ البلد ولعلّه لن ينتهي حتى يستجلب على البلد خراباً كاملاً. لم يجن هؤلاء البلهاء الحاقدون شيئاً، بل لم يستطيعوا حتى أن يكونوا خيطاً أو مسماراً في حذاء العسكر، أمّا العامّة فلم يبق لها إلّا التّراب لتأكله أو تهيله على الرّأس أو تُدفن تحته.

متعاليا لا يرى شعبه إلا ما يرى ولا يرى في شعبه إلا جمعا من البلهاء الذين عليهم أن يتبعوه دون نقاش وإلا انبري ينعتهم بأقذع النعوت ويعاديهم أشد العدا.

(5)

ليست العلة في المثقفين وحدهم ولا في النمط الثقافي الذي أشاعوه بين الناس فقط، بل العلة الكبرى لما يجري من إعادة انتاج للاستبداد والتبعية يتحمل القسط الأكبر في تكريسها شعب لا إرادة له في حماية ثورته ووطنه، شعب مطواع سهل الركوب، يميل مع من يميل به ولا يمتلك ما يفترض في الشعوب الحرة من إرادة وطول نفس. ولا نعني هنا التعميم، وإنما نقصد بالشعب غاليته التي سارت وراء هؤلاء المثقفين من دون أن تدرك حجم الكارثة التي ستحل بها.

تركيا جزء من عالمنا الاسلامي وقد ساد الأتراك عالمنا زهاء الخمسة قرون ثم جاءتهم العلمانية بديلا عن الخلافة والعسكر بديلا عن الخليفة، وكان حكم العسكر شديدا عليهم من كل النواحي وخاصة من الناحية الثقافية أما سياسيا فقد كان الاستبداد سيّدا عليهم وهم القريبون من أوروبا ومن الحداثة ومن حلف «الناتو» حامل لواء الديمقراطية. جاءت الديمقراطية بحزب من لون آخر وإن كان يتخذ من العلمانية سقفا واستطاع أن يحدث طفرة اقتصادية واستقرارا سياسيا والأهم أنه استطاع القطع مع حقبة طويلة من الاستبداد فهل كان هذا القطع ثقافيا بالأساس؟ وهل استطاع هو ومن معه أن يعيد تشكيل وعي الناس ليهبوا عامة ومثقفين ليدافعوا عن قيم لطالما دافع عنها الغرب مدعيا أحقيته في الدفاع عنها؟ ولماذا ينبري الآن مثقفونا للدفاع عن الانقلاب رغم ما كان سيحدثه من قطيعة مع التنمية والديموقراطية وحقوق الانسان وكل القيم؟ وهل يستطيع هؤلاء أن يدافعوا عن هذه القيم مرة أخرى بعد أن أدرك الناس زيفهم؟

جاءت الديمقراطية إلى تركيا بحزب من لون آخر وإن كان يتخذ من العلمانية سقفا واستطاع أن يحدث طفرة اقتصادية واستقرارا سياسيا والأهم أنه استطاع القطع مع حقبة طويلة من الاستبداد فهل كان هذا القطع ثقافيا بالأساس؟

بمثابة القاطرة التي تجرّ هموم الأمة وأزماتها نحو آفاق الحلّ بما يخدم قضايا الوطن والشعب والمثقفين على حد السواء.

لا يكون المثقف الحقيقي إلا مصلحا حاملا لهموم شعبه مدافعا عنه ضدّ المستبدّ والمستعمر والغازي. فكيف يصبح هذا المثقف رافعة للظلم والاستبداد والعمالة ومنظرا للمستبدّين وأجهزة النفوذ والتسلط؟

لقد تخلّى المثقف عن دوره الحقيقي سعيا منه للتقرب من السلطة أو لها وراء مصالح مادية ذاتية ونسي أنه متى ما فقد استقلاله فقد كرامته وقدرته على التأثير الحرّ. وليست المشكلة في فقدان الاستقلالية فقط وإنما المشكلة الأعمق هي في هذا الاغتراب الذي يعانيه المثقف تجاه قضايا شعبه وتماهيه مع قوى الاستعمار والاستبداد والردة. إنّه لطالما رفع شعارات برّاقة من قبيل الحداثة والتّوير والدفاع عن القيم الكونية ولكنّه كان دائما مثقفا انتهازيا شوفينيا

ألف تحية

للاشعب التركي البطل
الذي وقف ضد العسكر





محمد هباش

هواك فلسطيني

حبابي بعد ما كانوا بوادي جفوني

وطفت عالفركت بوادي

وصبح قلبي مثل ضايح بوادي

وغابت شمسنا و طال الغياب

وين الهوى

ما وذاك

خلي هواك فلسطيني

قلبك ع قلوب ... بتهواك

طول غيابك حزينت

بعروقك لو حنّ الدّم

شملّ ع بلادك يا عم

بأهلك شملك راح يلمت

شدّ شراع السفينة

لف بلاد وعدي بلاد

وبلادك لا تنساها

خلي عيونك تبقى غاد

عالدار الي تهواه

يا معود وان الله راد

بيدك يرجع ثراها

ويعاود ظريف الطول

عالبيت الفلسطيني

أعذف نغمات الحنين

دقّ عودك وأوتاره

واسأل عن كلّ العاشقين

بأي ديرة صاروا

وطنك ع غيابك حزين

بيتك ذبلت أزهاره

اسمع شو غنى الحمام

بالصوت الفلسطيني

يا با دموع الشوق

ع دروبي نداها

ويا با وانا ها الارض

يجرحني نداها

ويا با صوتي كثير

بشروقي نداها

وترد الارض بمعنا وعتاب

لسماع الأغنية على العنوان التالي:

<https://www.youtube.com/watch?v=45jsojWBaXs>

كلمات: الشاعر خليل عابد



لا عين رات ولا قلب يوجع

عميرات



الإصلاح

ذو القعدة 1437 - أوت 2016
العدد 109 - السنة 5

كتاب الأصالة



www.alislahmag.com

موعدنا
يتجدد
مع العدد 110
سبتمبر 2016
ذوالحجة 1437